The Strange Case of
Dr. Jekyll and Mr.Hyde

فريق
متميزون
E-BOOK

القصة العجيبة لـ
دكتور جيكل والسيد هايد

روبرت لويس ستيفنسون

ترجمة خميلة الجندي

الرواق للنشر والتوزيع

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق -متميزون-

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

القصة العجيبة لـ

دكتور چيكل

و السيد هايد

رواية مترجمة..

الكاتب: روبرت لويس ستيفنسون

ترجمة: خميلة الجندي

عن الرواية..

اكتشف المحامي أترسون أن صديقه الدكتور چيكل قد ترك له وصية تُفيد بنقل جميع أملاكه إلى شخص مجهول لا يعرفه اسمه السيد هايد، وفي رحلة بحثه عن حقيقة هويّة السيد هايد، اكتشف أمرًا لم يكن يتخيّل إمكانية حدوثه!

يرتبط العمل عمومًا بحالة نفسية نادرة أحيانًا ما يُطلق عليها بطريق الخطأ «انفصام الشخصية»؛ حيث يوجد بداخل الشخص الواحد أكثر من شخصية مختلفة. وفي الحالة التي تطرحها الرواية، توجد بداخل الدكتور چيكل شخصيتان مختلفتان تمام الاختلاف من الناحية الأخلاقية، إحداهما طيبة في الظاهر، والأخرى شريرة. كان للرواية تأثير قوي؛ حتى إن عبارة «چيكل وهايد» أصبحت دارجة لتعني الشخص الذي يختلف توجُّهه الأخلاقي اختلافًا جذريًّا من موقف لآخر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قصة الباب

كان وجه السيد إترسون المحامي يتسم بتقطيبة شهيرة، لا يُخطئ أبدًا فيبتسم، بارد، شاحب، كئيب، ومع ذلك جميل بصورة ما. تدب الحياة في عينيه في أثناء الاجتماعات الودودة أو حين يرتقي مذاق النبيذ لذوقه، لكن هذه الحياة لا تتدفق إلى صوته، ربما نلمسها في صمته الطويل بعد العشاء، أو تبدو أكثر صخبًا في أفعاله الحياتية. كان معتدًّا بنفسه، يحتسي الچين حين يكون بمفرده، ورغم أنه أحب المسرح؛ فإنه لم يزُره منذ ما يقرب من عشرين عامًا. على أي حال؛ كان يحمل شيئًا من العطف نحو الآخرين، أحيانًا ما تساءل، ربما بشيء من الغيرة، عن قدرة البشر في ممارسة الأفعال الشريرة؟! وكيف يفضلون الشر على المساعدة؟!

«أميل لهرطقة قابيل». اعتاد ترديدها، ثم يردف: «أترك أخي يذهب إلى الجحيم بطريقته». وبهذه الشخصية لم يكن إترسون الأوفر حظًا في معارفه حسني السمعة، وكان له تأثير لا يُذكَر في حياة الناس. حتى حين يلجأ إليه الآخرون، لم يحاول قط أن يظهر أي تغيُّر طفيف في سلوكه.

مما لا شك فيه أن أي إنجاز شجاع لم يكن سهلًا على السيد إترسون، خاصةً وأنه لم يكن مصنفًا من بين الأفضل، وصداقاته بدا أنها تنوعت من حيث طباع أصدقائه. إنه لمن شيم الرجال المتواضعين أن يتقبلوا دائرة الأصدقاء التي أعدتها لهم -مسبقًا- أيادي القدر، وهذه كانت شيمة المحامي. أصدقاؤه كانوا أقاربه أو مَن جمعتهم به سابق معرفة طويلة، معارفه نموا، كما أوراق اللبلاب، بفعل الزمن، لم يكن لهم يد في هذه العلاقة. وهكذا كانت، مما لا شك فيه، الصلة التي جمعته والسيد ريتشارد إنفيلد، نسيبه البعيد، والرجل المعروف في أوساط المدينة. كان لغز يُحير الجميع؛ ماذا يرى هذا الثنائي في أحده الآخر، أو بالأحرى ما المشترك بينهما. قيل على لسان مَن صادفهم يتجولون في أيام الآحاد كعادتهم: إنهم لم يتبادلوا بنت شفة. ارتسمت على محياهم نظرات صامتة وكئيبة، ويلقون تحية هشّة تدل على عدم راحة واضحة حين يصادفون صديقًا. على أي حال، كانت تلك الجولات الصغيرة بالنسبة للرجلين بمثابة لؤلؤة التاج أسبوعيًّا، وهم على استعداد للتخلف -ليس فقط عن المناسبات الترفيهية- عن أي لقاءات عمل؛ فقط ليستمتعوا بتلك الجولات دون انقطاع.

قادتهم الصدفة في أثناء واحدة من تلك النزهات إلى شارع جانبي في أحد أحياء لندن المزدحمة. كان الشارع صغيرًا ويمكن أن نصفه بالهادئ، لكن في أثناء أيام العمل يزدحم بالتجار. بدا أن السكان في حالة جيدة، ويرغبون في تحسين حالتهم للأفضل، فبعضهم يعرض فائض تجارته في محاولة لبيعها، وهكذا بدت واجهات المحال على جانبَي الطريق تدعو المشترين مثل صفوف من الباعة المبتسمين. حتى في يوم الأحد، يرفل الشارع في حلة خلابة متميزًا عن الحيِ الوضيع، مثل النار في ليلة باردة، وتلتفت الأنظار لأبواب المحال المدهونة حديثًا، والسياج اللمّاع، والنظافة العامة الملاحظة التي تَسُر نظر المارة.

لم يفسد هذا المنظر المميز سوى منزل يقع على اليسار في الزاوية الشرقية قرب نهاية الطريق، ويبرز جملون المنزل بصورة ملحوظة. يتكون المنزل من طابقين، أصم، لا علامة على نوافذ في جدرانه، لا يوجد سوى باب في الطابق الأرضي، وستارة تخفي حائطًا غير مكتمل البناء في الطابق العلوي، وبدت ملامح المنزل بأكمله في حالة رثة ومهملة. أما الباب، الذي لم يُزوَّد بجرس أو مقرعة، كان متقرحًا وملطخًا، الصعاليك تسكعوا حوله وأضرموا النار في أجزائه الخشبية، والأطفال عبثوا بالجدران، واحد من فتيان المدرسة أعمل سكينه في قوالب القرميد، ولمدة طويلة لم يظهر مَن يطرد هؤلاء الزوار المتكررين، أو يُصلِح ما خربوه.

كان السيد إنفيلد والمحامي إترسون واقفين على الجهة الأخرى من الشارع، ولكن حين دنوا من المنزل المذكور، رفع السيد إنفيلد عصاه، وأشار سائلًا: «هل لاحظت هذا الباب؟». أومأ صاحبه إيجابًا. فأكمل: «هذا الباب عالق في ذهني بفضل قصة قديمة».

قال السيد إترسون وقد تغيرت نبرة صوته قليلًا: «حقًّا؟ وما هي؟».

- كانت كالتالي: كنت عائدًا إلى المنزل من سفر طويل، وبعيد، في الساعة الثالثة من فجر شتوي قاتم، وقد قادني طريقي إلى جزء من المدينة لا يُرَى فيه سوى أعمدة الإنارة. مررت بشارع تلو الشارع، والجميع نيام، وكل الأعمدة مضاءة كما المواكب، والطرق خاوية كالكنائس، حتى في النهاية وصلت إلى حالة من الصفاء الذهني تجعل من الرجل قادرًا على أن ينصت وينصت ويتوق لرؤية شرطي. وفجأة! رأيت هيكلين، هيكلًا لرجل ضئيل يسير نحو الشرق في خطوة سريعة، وهيكلًا لفتاة ربما في الثامنة أو العاشرة من عمرها تركض بأقصى ما يسعها نحو التقاطع. حسنًا، سيدي، لقد اتجه الاثنان نحو بعضهما البعض بصورة طبيعية، ثم جاء الجزء الفظيع، حين دهس الرجل بهدوء عجيب جسد الفتاة وتركها ملقاة على الأرض تبكي من فرط الألم. بدا المشهد جهنميًّا. لم يشبه الرجال، بل بدا غولًا، أطلقت عدة صرخات ترويع، وانطلقت عدوًا نحوه، أطبقت قبضتي على ياقته وأعدته حيث اجتمع بالفعل مجموعة لا بأس بها من الناس حول الطفلة الناحبة. بدا في حالة هدوء مثالية، ولم يحاول إظهار أي صورة من صور المقاومة، لكنه رمقني بنظرة واحدة، نظرة مقيتة أثارت في نفسي الرغبة في الهرب. ذهب الناس لإحضار أهل الفتاة، وسرعان ما وصل الطبيب الذي فحصها. حسنًا، لم تكن حالة الفتاة بهذا السوء، كانت خائفة، وفقًا للطبيب، لا أكثر، وهنا يمكنك أن تقترح أن هذه هي نهاية القصة. لكن هناك حدث آخر. لقد توعدت هذا الرجل منذ النظرة الأولى، وكذلك أسرة الفتاة، وكان هذا الأمر الطبيعي. أما الطبيب فكان كلما التفت إلى الرجل شحب وجهه وبدا أن رغبة ملحة لقتل الغول تعتمل في صدره. كان طبيبًا عاديًّا، لا يمكن تحديد لون بشرته أو سنه، يتحدث بلكنة إدنبرة، وعديم الشعور، عدا في هذا الأمر؛ لذلك فهمت ما يدور في ذهنه، تمامًا كما فهم هو ما يدور في ذهني، وبما أن القتل أمر غير قابل للتنفيذ هنا؛ فقد قررنا فعل الخيار الثاني. أخبرنا الرجل أننا قادرون على إحداث فضيحة كبرى، بل وعازمون على ذلك، وسيتعفن اسمه في أوساط لندن كلها، لو كان يملك أي أصدقاء أو صلات مهمة سنضمن تدميرها بالكامل. وعلى أي

حال حاولنا -قدر الإمكان- أن نبعده عن متناول يد النساء اللائي كن في حالة هياج كالحيوانات البرية. لم أرَ في حياتي جمعًا من الوجوه الكارهة مثل ذلك اليوم، وهذا الرجل يقف في منتصف الدائرة، بهدوء كئيب، خائف هذا لا يمكنني إغفاله، ولكن لا يكترث، كما لو كان الشيطان. قال الرجل: «لو كنتم عازمين على جني ثروة من وراء هذه الحادثة، فأنا عاجز عن مساعدتكم، لكن الجميع يُفضِّل الهروب من الفضيحة؛ لذا اطلبوا ما تشاءون».

صمت إنفيلد لبُرهة ثم استطرد: حسنًا. طلبنا منه مئة باوند تعويض لعائلة الطفلة، بدا جليًّا أنه يحاول التملص، ولكن كان هناك شيء ما غير مفهوم، وفي النهاية أذعن. كانت الخطوة التالية أن يحضر المال، وإلى أين تظن أنه صحبنا؟ إلى هذا البيت. أخرج المفتاح، ودلف إلى الداخل، ثم عاد بسرور ومعه عشرة باوندات ذهبية، وشيك بنكي مدفوع من حساب في بنك كوتس لحامله، أما التوقيع فكان باسم لا يمكنني ذكره، رغم أن هذا الاسم هو أحد محاور قصتي، ولكن دعني ألمح لك أنه اسم شخص شهير، وكثيرًا ما يظهر في الجرائد. بدا التوقيع مزورًا، وقد أخذت على عاتقي حرية الإشارة إلى أن الأمر كله يبدو ملفقًا، وأن الإنسان لا يستطيع ببساطة أن يدلف إلى باب قبو في الرابعة صباحًا ويخرج حاملًا شيكًا موقعًا من رجل آخر بقيمة تزيد بقليل على مئة باوند. لكنه رد بهدوء بارد: استرِح، سأمكث رفقتكم حتى تفتح البنوك أبوابها وأصرف الشيك بنفسي. وهكذا انطلقنا جميعًا، الطبيب، ووالد الفتاة، وصاحبنا، وأنا، لنقضي ما تبقى من الفجر في منزلي، وفي النهار التالي، بعدما تناولنا وجبة الفطور، ذهبنا جميعًا إلى البنك. سلمت الشيك للرجل قائلًا: إن كلي إيمان أن الأمر كله شرك. لكن الشيك كان حقيقيًّا.

- يا للهول!

قالها السيد إترسون. فأردف صديقه: أرى أنه قد أصابك ما أصابني، نعم سيدي، إنها قصة سيئة؛ لأن بطلها رجل غير قابل للهزيمة، رجل ملعون، أما الرجل الذي كتب الشيك فهو رجل شهير، وما يزيد الأمر سوءًا أنه واحد من مدعي الفضيلة. ربما الأمر برمته يخضع للابتزاز على ما أعتقد، رجل صادق يدفع نظير وأد فعل مشين يلاحقه من فترة شبابه. بيت الابتزاز، هذا ما لقبت به هذا الباب فيما بعد. على الرغم من أن الأمر أبعد من تفسيره بهذه البساطة.

قال كلماته الأخيرة واستمر صمت طويل. ثم سأله السيد إترسون على حين غرة: أنت لا تعلم ما إذا كان كاتب الشيك يعيش هنا؟

- مكان غير مرجح، أليس كذلك؟ على أي حال، لقد صادف وأن لاحظت العنوان المحرر على الشيك وكان يشير لمكان آخر.

- ولم يساورك الفضول لتسأل عن هذا المكان خلف الباب؟

- لا سيدي، أنا أتمتع باللباقة. أنا شديد الحرص حين يتعلق الأمر بطرح الأسئلة، أحتاج لوقت طويل لأطلق الأحكام. أنت تطرح السؤال تمامًا كما تلقي حجرًا. تجلس هادئًا على قمة التل، بينما الحجر يهبط بأقصى سرعة ويصيب الآخرين، وقد

يصيب مَن لا يخطر على بالك، وقد يدمر حياة الآخرين؛ مما يستدعيهم للتنازل عن أسماء عوائلهم. لا سيدي، لديَّ قاعدة: كلما بدا الأمر مشبوهًا، عزفت عن السؤال.

- هي قاعدة ثمينة.

- ولكنني فحصت المنزل بنفسي، ولنفسي، بالكاد يبدو منزلًا. لا يوجد باب آخر له، ولا يدلف أو يخرج منه سوى رجل واحد كل ردح من الزمن، وهذا الرجل هو بطل مغامرتي. هناك ثلاث نوافذ تطل على بهو الطابق الأول، ولا يوجد نوافذ في الطابق الأرضي، النوافذ كلها مغلقة دائمًا ولكن نظيفة. وهناك مدخنة يتدفق منها الدخان عادةً؛ مما يشير إلى أن أحدهم -بلا شك- يعيش هناك. ولكن الأمر لا يمكن الجزم فيه؛ لأن بنايات هذه المنطقة متاخمة حول الساحة، لدرجة لا تسمح بتحديد أين تبدأ وتنتهي حدود كل منزل.

سار الرجلان مجددًا يحفهما الصمت لبرهة، ثم قال السيد إترسون:

- إنفيلد، أعجبتني قاعدتك.

- نعم، أعتقد أنها جيدة.

- ولكن في كل هذه القصة، لديَّ سؤال أود طرحه: أريد أن أسألك عن اسم هذا الرجل الذي دهس الطفلة؟

- حسنًا، لا أرى ضُرًّا في ذكر اسمه، كان اسمه هايد.

همهم إترسون، وأردف:

- كيف بدا هذا الرجل؟

- ليس من السهل وصفه. يبدو مظهره عليلًا بشكل ما، هناك شيء به لا يسر الناظرين. لم أرَ قط في حياتي رجلًا يثير تحفظي مثله دون أن أدري السبب. أعتقد أن به علة في مكان ما، يشي مظهره بشدة بوجود إعاقة في جسده، رغم أنني عاجز عن تحديد موقعها. يبدو رجلًا فريد المظهر، ولكنني عاجز عن فهم سبب مظهره الاستثنائي. لا سيدي، لقد أسقِط في يدي، لا يمكنني وصفه. والأمر لا يتعلق بالنسيان؛ لأنني أؤكد لك أن وجهه حاضر في ذهني الآن.

سار السيد إترسون مرة أخرى دون أن يتكلم، وبدا وجهه يعاني من وطأة أفكاره، ثم سأل مجددًا:

- أنت متأكد أنه استخدم مفتاحًا ليدلف؟

- سيدي. قالها إنفيلد بتعجب.

- أعلم، أعلم أن سؤالي يبدو غريبًا. الحقيقة أنني لم أسألك عن اسم صاحب الشيك؛ لأنني أعرفه بالفعل. أترى يا ريتشارد؟ لقد طرقت قصتك أبواب فضولي، أرجو أن تصحح أي نقطة غير صحيحة في سردها.

- أنا ممتن لتحذيرك، لكنني قصصت الحكاية بدقة متناهية؛ كما تشاء. كان الرجل يملك مفتاحًا، وماذا أيضًا، أخبرك أنه ما زال يملكه. لقد رأيته يستخدمه منذ أسبوع مضى.

زفر السيد إترسون بعمق ولم ينبس بكلمة أخرى، واستكمل الشاب إنفيلد حديثه بسرور قائلًا: ها هو ذاك درس آخر يحثني على التحفظ في حديثي، أنا خجل من ثرثرتي. دعنا نعقد صفقة ألّا نشير لهذا الأمر مجددًا.

- أعاهدك من كُل قلبي ألّا نفعل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

البحث عن السيد هايد

عاد السيد إترسون إلى منزله تلك الليلة وقد ارتسمت على وجهه أعتى علامات الضيق، جلس ليتناول العشاء دون شهية. كان من عاداته أيام الآحاد أن يجلس إلى المدفأة حين تنتهي وجبة العشاء، يقرأ واحدًا من الكتب الموضوعة على مكتبه حتى تدق ساعة الكنيسة القريبة معلنة انتصاف الليل، حينها يذهب في كامل وعيه وسروره إلى مضجعه. لكنه في تلك الليلة، بمجرد أن خلع ملابسه، حمل شمعة واتجه إلى غرفة المكتب. هناك فتح خزنته وأخرج من أكثر الزوايا خصوصية ملفًا كُتِب على المظروف الذي يحفظه «وصية الدكتور چيكل»، وجلس مقطب الحاجب ليدرس فحواها. كانت الوصية مكتوبة بخط يد صاحبها؛ لأن السيد إترسون، الذي يتولى مسئوليتها الآن، رفض جملةً وموضعًا أن يقدم أدنى مساعدة لصاحبها خلال عملية كتابتها. نصت الوصية أن تذهب ثروة السيد هنري چيكل، الحاصل على دكتوراه في الطب، ودكتوراه في القانون المدني، ودكتوراه في القانون، وزميل الجمعية الملكية، وإلخ من إنجازات، إلى (صديقه وكافله إدوارد هايد)، وليس ذلك فقط، لكن أيضًا في حالة (اختفاء) الدكتور چيكل (أو غيابه غير المفسر لفترة من الزمن تزيد على ثلاثة أشهر) سيحل المذكور إدوارد هايد، محل المذكور هنري چيكل دون أي تأخير، ويوضع عن كاهله أي أعباء أو التزامات سوى دفع مبالغ صغيرة من المال لخدم الدكتور.

لطالما كانت هذه الوصية قبيحة في نظر المحامي. أساءت له كونه محاميًا ومحبًّا للمنطق والعقلانية في حياته بأكملها. وتعاظم غضبه حين عرف أخيرًا مَن المذكور في الوصية والموهوب له كل ثروة الدكتور. كان يمقته بالفعل قبل أن يعرفه، الآن وقد أصبح هذا الاسم على ورق، جسد له لحم وشحم ويرتدي ثوبًا كريهًا، أصبح هذا الاسم التجسيد المطلق للشر.

قال وهو يُعيد الورقة البغيضة إلى الخزانة: ظننت الأمر ضربًا من الجنون، والآن بدأت أخشى أن يكون لعنة.

ختم الرجل كلماته وأطفأ الشمعة، وضع على جسده معطفًا سميكًا واتجه نحو ميدان كا□نديش، قلعة الطب، حيث يقع منزل صديقه الدكتور العظيم لانيون، ويستقبل فيه مرضاه، حدَّث المحامي نفسه: «لو كان أحد على دراية بالحقيقة، فهو لانيون».

عرفه رئيس الخدم المحترم ورحب به، لم يكن إترسون مستعدًّا لأي تأخير، وقاده رئيس الخدم إلى باب غرفة الطعام حيث يجلس الدكتور لانيون وحيدًا رفقة كأس النبيذ. كان لانيون رجلًا ذا وجه أحمر تتورد فيه الدموية مشيرة لصحته الممتازة، وقد زحفت بعض الشعيرات البيضاء إلى رأسه، واتسم بخُلُق نشط ومحدد. قفز الدكتور من مقعده لرؤية السيد إترسون ورحب به شادًّا بكلتا يديه على يد صديقه. بدا الترحيب لمَن يراه بالعين المجردة، مصطنعًا ومسرحيًّا، ولكنه طوى في جوانبه شعورًا صادقًا. كان الرجلان صديقين منذ زمن طويل، صديقان قديمان في المدرسة والجامعة، كلاهما يحترم الآخر بصدق، وبالتالي يستمتع بصحبة الآخر.

بعد تبادل عدة أحاديث افتتاحية، اتجه المحامي مباشرة إلى صُلب الموضوع الذي يشغل عقله قائلًا:

- أعتقد، يا لانيون، أنني وإياك أقدم صديقين لهنري چيكل، أليس كذلك؟

- كنت أرجو لو صداقتنا أحدث من ذلك، لكن أعتقد أننا الأقدم. ولكن لِمَ تسأل؟ نادرًا ما أراه تلك الأيام.

- حقًّا؟ ظننت أن بينكما صلة مشتركة.

- كان بيننا، ولكن مر أكثر من عشر سنوات تقريبًا منذ كان هنري چيكل مهتمًّا بلقائي. لقد بدأ يضل الطريق، يفقد صوابه، وبالطبع حرصت على الاهتمام به؛ إخلاصًا للأيام الخوالي، كما يقولون، ولكني أرى ورأيت جانبًا شيطانيًّا من هذا الرجل. لغو...

قالها وبدأت بشرته تتحول لزرقة حالكة، ثم استطرد:

- لغو قد يفرق دايمون وبيثياس([1]).

كان لهذا التوتر الظاهر على وجه الطبيب أثره الطيب في نفس إترسون الذي فكر أن الاختلاف بين الطبيبين كان بشأن بعض الأمور العلمية، وأحيانًا ما أضاف -لأنه رجل مولع بالعلم، لكن دون ممارسته- أن الأمر لا يمكن أن يتخطى جدالًا علميًّا! منح إترسون صديقه بعض اللحظات ليملك زمام نفسه، ثم دنا من السؤال الذي جاء ليطرحه:

- هل صادفك من قبل كافل وحامٍ لحياته يُدعَى هايد؟

- هايد؟ لا، لم أسمع به من قبل؛ أي منذ كنت صديقًا لچيكل.

كان هذا القدر من المعلومات التي عاد بها إترسون إلى مضجعه الفسيح المظلم، والذي تلوي فوقه يَمنة ويَسرة حتى بدأت ساعات النهار الأولى تزحف مبددة ظلمة الليل. كانت ليلة قلقة لعقل إترسون، الذي كدح ليبحث عن إجابات أسئلة حاصرته في الظلمة الحالكة.

دقت أجراس الكنيسة مُعلنة الساعة السادسة صباحًا، وكان إترسون لا يزال منغمسًا في البحث عن حل لمعضلته. حتى الآن كان عقله فقط المنخرط في هذا الأمر، لكن أصبحت مخيلته أيضًا مشتركة، أو بالأحرى أسيرة. بينما استلقى وتلوى فوق هذا المضجع الضخم في غياهب الليل وقد أُسدِلت ستائر الغرفة، عادت حكاية السيد إنفيلد لتمر عبر ذهنه كشريط فيلم مضيء. أخذ يتخيل أضواء المدينة الليلية، وهيكل الرجل يسير بتريث، ثمة طفلة تركض، ثم يتقابلان، ثم يدهس هذا الغول الفتاة ولا يكترث بصرخات الآخرين. يحمله خياله إلى غرفة في منزل فاخر، حيث يستلقي صديقه نائمًا، يحلم ويبتسم لخفة أحلامه، ثم يُفتَح باب الغرفة، وتُرفَع ستائر المضجع، يُنادَى النائم، وثم! بجواره يقف هيكل الرجل الذي مُنِحت كل السلطة إليه، وحتى لو كان صديقه في ساعة احتضار، عليه أن ينهض ويُلبي النداء. أسر خيال هايد تفكير المحامي طوال الليل، وكلما حاول إزاحته من رأسه، رآه يطوف بثبات

عبر المنازل النائمة، أو يتحرك بخفة، خفة واضحة شبه خفية في متاهات واسعة هي شوارع المدينة المضيئة، وفي زاوية كل شارع يدهس طفلًا جديدًا ويتركه صارخًا. ما زال الخيال لا وجه له يتعرفه المحامي، حتى في أحلامه، كان بلا وجه، أو ربما كان له وجه سرعان ما يذوب أمام عينيه، وهكذا انبثق فضول متنام في ذهن المحامي، يكاد يكون مُفرطًا، لتعرُّف ملامح السيد هايد الحقيقية. ظن أنَّ اللغز قد ينكشف كله إذا استطاع فقط أن يراه مرة واحدة، كسائر الأشياء الغامضة حين تنكشف. حينها ربما يرى سبب تفضيل صديقه لهذا الغريب، أو الوثاق بينهما (سمِّها ما تشاء)، وكذلك سبب لوصية الدكتور جيكل. على أي حال هو وجه يستحق التعرف إليه، وجه رجل لا يملك أدنى درجات الرحمة، وجه حفر قسماته في ذاكرة إنفيلد غير القابل للتأثر، وجه روح يحمل إنفيلد لها كرهًا دائمًا.

منذ تلك الليلة، أصبح السيد إترسون يراقب باب المنزل الواقع في الشارع الجانبي. في الصباح، قبل ساعات العمل، وعند الظهيرة خلال فسحة العمل، وفي غياهب ليل المدينة الضبابية تحت شعاع قمر هزيل، طوال كل ساعات الوحدة، يقف المحامي في مكانه المعتاد مراقبًا المنزل.

فكر إترسون في دعابة تليق بالموقف: «لو كان هو السيد هايد، فأنا السيد سيك([2])».

وفي النهاية كُوفِئ على صبره. كانت ليلة هادئة جافة الطقس، الصقيع يتساقط ندفات من السماء، والشوارع نظيفة كنظافة قاعات الاحتفالات، والمصابيح ثابتة دون رياح تهزها، ترسم نسقًا معتادًا من الضوء والظل. في العاشرة، حين أغلقت المحال أبوابها، خوى الشارع الجانبي، وعلى الرغم من الجلبة في أنحاء لندن كافة؛ فقد اكتسى الشارع برداء الصمت. تنامت الأصوات من بعيد، أصوات أليفة صادرة من المنازل القائمة على جانبَي الطريق، واضحة ومُفسرة لمَن ينصت لها، وكان السيد إترسون قادرًا على التقاط وقع أقدام المارة قبل عدة دقائق من ظهورهم في مرمى بصره، حين انتبه لصوت خطى رشيقة تقترب منه. خلال تلك الدوريات الليلية، اعتاد أصوات الخطى المنفردة التي تبدأ بعيدة ثم تقترب قعقعتها. لكن انتباهه لم يكن بهذه الحدة من قبل، ولم يسبق أن اعتراه هذا التركيز، بل كانت للخطى وقع قوي خرافي دفعه للانسحاب إلى أحد مداخل الحي.

اقتربت الخطى رويدًا، وارتفع صوتها تدريجيًّا حين اقتربت من نهاية الشارع. المحامي، الذي كان يطل من مكان قصي، سرعان ما أدرك نوعية الرجل الذي عليه أن يواجهه. كان رجلًا هزيلًا يرتدي ملابس رثة، والنظر إليه، حتى على مبعدة، يثير الاشمئزاز. سار الرجل مباشرةً نحو الباب وقد عبر الطريق السريع ليختصر المسافة، وحين دنا منه أخرج المفتاح من جيبه كأي إنسان يدنو من منزله.

خطا السيد إترسون نحوه حتى أمسك بكتفه، وقال: «السيد هايد، أليس كذلك؟»

انكمش السيد هايد مبتعدًا وبدأ يتنفس بصعوبة. لكن خوفه كان لحظيًّا، ورغم أنه لم ينظر لوجه المحامي، فقد أجاب بهدوء واضح: «بلى، ماذا تريد؟».

أجاب المحامي: «أرى أنك دالف إلى المنزل، أنا صديق قديم للدكتور چيكل، أنا السيد إترسون، أقطن شارع جاونت، بالتأكيد سمعت اسمي من قبل، مقابلتك أمر مميز، ظننتك ستتعرفني».

- الدكتور چيكل ليس في المنزل. قالها السيد هايد ودب المفتاح في الباب، ثم على حين غرة ودون أن ينظر إلى إترسون سأل: كيف عرفتني؟

- إذا جاوبتك، هل تسديني صنيعًا؟

- ببالغ السرور، ماذا تريد؟

- هل تسمح لي أن أرى وجهك؟

بدا التردد على السيد هايد، ثم، كما لو كان تحت تأثير فكرة مباغتة، كشف عن وجهه بنظرة تحدٍّ، وحملق الرجلان في بعضهما بثبات لعدة ثوانٍ. قال السيد إترسون: الآن أتعرف إليك من جديد، هذا أمر مفيد.

- نعم، حسنٌ أننا التقينا، وبالمناسبة، ينبغي أن تحصل على عنواني.

ومنحه رقم شارع في حي سوهو. همس السيد إترسون لنفسه: «إلهي الرحيم! هل من الممكن أن يكون الرجل يفكر بدوره في أمر الوصية؟». لكنه لم ينبس بأفكاره، واكتفى بمعرفة العنوان، ثم أضاف الآخر: والآن، كيف تعرفتني؟

- من أوصافك.

- مَن وصفني لك؟

- بيننا أصدقاء مشتركون.

ردد السيد هايد: أصدقاء مشتركون، مَن هم؟

- چيكل على سبيل المثال.

بصوت غاضب جلي في صرخته قال هايد: «لم يخبرك أبدًا عني، يبدو أنك جدير بالشك في صدقك».

- اهدأ، هذه ليست لغة ملائمة للحديث.

أطلق هايد ضحكة سخرية قبيحة ثم، وبسرعة مباغتة، فتح باب المنزل واختفى داخله.

وقف المحامي لبرهة بعدما غادره السيد هايد، وبدا أنه مثال للقلق والتوتر. ثم بروية، سار في طريقه، يقف بين الحين والآخر، يفرك جبهته وقد بلغ توتره قمته. المشكلة التي كانت تجول في خاطره بينما يسير كانت عسيرة الحل. كان السيد هايد شاحب الوجه، يميل جسده للتقزم، وقد بدا عليه العلة الجسدية، لكن أين؟ لا يمكن تحديدها. له ابتسامة غير مريحة، وقد بدا للمحامي خليطًا من الإجرام والحماقة والجرأة، تحدث بصوت أجش تارة، وبهمس صادر من صوت مكسور تارة أخرى، ولكن أيٌّ من تلك التفاصيل لا تفسر الاشمئزاز غير المفسر والقلق وحتى الخوف

الذي اعترى السيد إترسون بشأنه. قال الرجل المتوتر: «يجب أن يكون هناك شيء آخر، هناك المزيد، فقط لا يمكنني تسميته. ليغفر لي الرب، الرجل بالكاد يبدو إنسانًا! ربما يشبه رجال الكهوف، أيمكنني قول ذلك؟ أم الأمر كله يتعلق بالقصة القديمة عن دكتور فيل؟ أم إنه المحيا الطبيعي لروح بلهاء تطوف القارة؟ أعتقد أن الظن الأخير هو الأنسب. يا للمسكين العجوز هاري چيكل! لو قابلت من قبل وجهًا يحمل توقيع الشيطان، فهو بالتأكيد وجه صديقك الجديد».

بالقرب من زاوية الشارع الجانبي هناك مربع من المنازل القديمة جميلة البنيان، الآن وقد تهدم أغلبها، وأصبح طابقها الأرضي وغرفها مرتع لكافة أشكال الرجال، راسمي الخرائط، والمعماريين، والمحامين، ورجال المؤسسات غامضة النشاط. مع ذلك كان هناك منزل وحيد، الثاني عند الزاوية، مأهول بالكامل، وعند بابه، الذي يشي تصميمه بثراء ساكنيه وبهاء زخارفه رغم أن الليل قد أسدل ستائره عليها، وقف السيد إترسون وقرعه. فتح الباب خادم عجوز مهندم المظهر. سأله المحامي: هل الدكتور چيكل في المنزل، بول؟

- دعني أتأكد سيد إترسون.

قالها وهو يفسح المجال للزائر ليلج إلى بهو شاسع منخفض السقف، تحفُّ جانبَيه رايات، وتدفئه (على طراز المنازل الريفية) أخشاب مشتعلة داخل مدفأةٍ من خشب البلوط الباهظ. أردف الخادم: هل تنتظره هنا سيدي بجوار النار؟ أو أضيء لك مدفأة غرفة الطعام؟

- سأنتظر هنا، شكرًا لك.

قالها المحامي واستند إلى جدار المدفأة. في هذا البهو، الذي يقف فيه وحيدًا الآن، كانت أبسط مظاهر البذخ في منزل صديقه الدكتور چيكل. وإترسون طالما اعتاد الحديث عنها بكونها أفخم غرف لندن. لكن الليلة سرت قشعريرة قميئة في دمه، وجه هايد هيمن تمامًا على ذاكرته، شعر (ونادرًا ما يشعر بذاك) بدوار وانعدام توازُن، بلغ الاضطراب مبلغه بإترسون حتى أنه كاد يقرأ رسائل تهديد تتصاعد من ألسنة اللهب في المدفأة المصقولة، وفي انعكاسات الظلال الراقصة على السقف. كان خجلًا من أفكاره، حين عاد بول إليه بابتسامة ليخبره أن الدكتور چيكل قد غادر المنزل منذ بُرهة. قال المحامي: رأيت السيد هايد يدلف إلى غرفة التشريح القديمة يا بول، هل أنا محق؟ دلف هايد بينما الدكتور چيكل خارج المنزل؟

- أنت محق بالكامل يا سيدي، السيد هايد يملك مفتاحًا لهذه البناية.

- يبدو أن سيدك يضع كثير ثقة في الرجل الشاب يا بول.

قالها المحامي بنبرة يشوبها السخرية، فرد بول: «نعم يا سيدي، يضع كثير ثقة، لدينا أوامر كاملة بطاعة السيد هايد».

- لا أذكر أنني التقيت السيد هايد من قبل.

- أنت محق سيدي، السيد هايد لا يتناول طعام العشاء هنا أبدًا، الحقيقة أننا قليلًا ما نراه في المنزل، غالبًا ما يأتي إلى المعمل ويغادر منه.

- حسنًا، ليلة سعيدة بول.

- ليلة سعيد سيد إترسون.

غادر المحامي متجهًا إلى منزله وقلبه مثقل بالهموم. همس لذاته قائلًا: «يا لك من مسكين هاري چيكل، يحدثني عقلي أن يده في النار! كان جامحًا في فترة شبابه، بالتأكيد مضى وقت طويل على هذه الأيام، ولكنها العدالة الإلهية، لا تقبل بسقوط التهم بالتقادم. الأمر بالتأكيد كما أفكر! هناك خطيئة قديمة عادت لمطاردته، سرطان يلتهم راحته اليوم، العقاب يأتي، كما يقول اللاتيني ولو عرجًا، بعد سنوات من نسيان الخطيئة واندثارها بين طيات من حب الذات». ولَمَا أفزعت الفكرة إترسون، عرج قليلًا يفكر في ماضيه الخاص، يذرع أركان الذاكرة كافة؛ خشيةَ أن يقفز في وجهه عفريت العلبة. لكن ماضيه كان خاليًا من الخطايا كافة، قليل من الرجال قادرون على المرور عبر سجلات ذكرياتهم بسلام كما يمر هو، مع ذلك أرهقته تلك الأخطاء القليلة التي ارتكبتها طبيعته البشرية، ثم عاد له الامتنان للرجل الذي أصبح عليه، والثقة في ذاته خاصةً حين تذكَّر ما كان يمكنه أن يرتكبه، ولكنه خشية الذنب تجنبه طواعيةً. ثم، وبالعودة إلى الموضوع الأهم، أخذ يتبع بريق أمل: «هذا السيد هايد، إذا درست طبائعه جيدًا، بالتأكيد سأجد في حياته أسرارًا خاصة، أسرارًا سوداء، هذا ما يبدو عليه، أسرارًا إذا قُورنت بالمسكين چيكل ستكون أشبه بمقارنة ضوء القمر بشعاع الشمس. لا يمكن أن أترَك الحال يستمر على ما هو عليه. تنتابني رجفة حين أفكر في استيلاء هذا السارق على أملاك هاري، هاري المسكين، يا له من مأزق! والأخطر، إذا شك هايد في احتمال وجود الوصية، ربما يصبح لديه نهم الإرث، ويشاء لو يرث في التو. اللعنة! يجب أن أتدخل، فقط لو يسمح لي چيكل، فقط لو يتركني أتصرف».

مرة أخرى بدت أمام عينَيه كلمات الوصية، ساطعة سطوع الشمس.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ارتياح الدكتور چيكل

بعد مرور أسبوعين على هذه الليلة، ولحسن الحظ البالغ؛ دعا الدكتور خمسة أو ستة من رفاقه القدامى على العشاء، جميعهم من علية القوم، رجال حسنة السمعة، ولديهم ذوق خاص في النبيذ، وقرر السيد إترسون -الذي كان بين المدعوين- أن يستبقي نفسه قليلًا رفقة چيكل بعد رحيل الجميع. لم يكن بقاء السيد إترسون عادة مستحدثة، بل كان أمرًا يفعله كثيرًا في الأيام الخوالي. حين كان الناس يُعجَبون بشخصية المحامي، كان الإعجاب صادقًا. المضيفون أحبوا استبقاء المحامي المحترم، حتى عند عتبة المنزل لينعموا بمزيد من حديثه الفصيح ولسانه المعسول. أحبوا الاستمتاع بصحبته غير المزعجة، يتفكرون في صمته الطويل بعد حديثه المبهج القريب من القلب. ولم يكن الدكتور چيكل استثناءً لهذه القاعدة. يمكنك أن ترى في عينَيه وهو جالس أمام ألسنة اللهب -رجلًا ضخمًا، مفتول البنيان، له وجه خمسيني ناعم، ربما يتسم بلمحة من الأناقة، والكثير من علامات العطف- نظرة إعجاب دافئة للسيد إترسون.

استهل إترسون الحديث: وددت الحديث معك منذ فترة يا چيكل، بشأن وصيتك.

حدجه الدكتور بنظرة توحي بثقل الحديث في هذا الموضوع، ثم استطرد بنبرة مبتهجة: عزيزي إترسون، أنت تعيس الحظ ليكن لديك هذا العميل. لم أرَ رجلًا مكروبًا مثل كربك بشأن وصيتي، عدا هذا المتحذلق لانيون، القلق بشأن ما يسميه إرثي العلمي. أعلم أنه صديق صادق -لا حاجة لتجهمك- رفيق رائع، ودائمًا ما أحب لقاءه، ولكنه -مع ذلك- متحذلق وجاهل، وأنا أعنيها حين أقول إنه متحذلق سافر. لم يخِب ظني في رجل من قبل، كما خاب ظني في لانيون.

- تعرف أنني لم أوافق عليها قط.

قالها إترسون غير مكترث بالحديث الطويل الذي جذبه چيكل إليه عن صديقهما، فقال الدكتور بنبرة ساخرة بوضوح: وصيتي؟ نعم، أعرف.. أخبرتني من قبل.

- حسنًا، ها أنا ذا أخبرك مرة أخرى، لقد عرفت شيئًا عن الشاب هايد.

تحول وجه الدكتور چيكل الصبوح إلى شحوب واضح حتى شفتَيه، وسرعان ما اسود محيط عينَيه. وقال: لا أكترث بسماع المزيد عن هذا الأمر. أعتقد أننا اتفقنا على عدم التحدث في هذا الشأن مجددًا.

- ما سمعته أمر مقيت..

- لن يغير من الأمر شيئًا. أنت لا تتفهم موقفي. صمت الطبيب لبرهة، ثم أردف بارتباك: أنا في وضع أليم يا إترسون، وضعي غريب للغاية، غريب لدرجة لا تُوصَف. الأمر لا يمكن إصلاحه بالحديث.

- چيكل، أنت تعرفني جيدًا، أنا رجل جدير بالثقة. فلتبح بما لديك بثقة، وأؤكد لك قدرتي على تخليصك منه.

- عزيزي إترسون، هذا لطف كبير منك، بالتأكيد هذا لطف بالغ، ولا يسعني أن أجد الكلمات الكافية لأشكرك، كما أنني أصدقك تمامًا، وأثق بك أكثر من أي إنسان على قيد الحياة، أثق بك أكثر من ثقتي في نفسي، لو كان بيدي الخيار، لكن الأمر بالتأكيد ليس كما تتخيله. على أي حال هو ليس بسوء ما تتخيل، وليستريح قلبك دعني أخبرك أمرًا واحدًا: حين تسنح لي فرصة الاختيار، أعدك بالتخلص من السيد هايد. لك كلمتي، كلمة شرف، وأشكرك مجددًا، مرارًا وتكرارًا، كما أضيف باقتضاب ما يمكنني أن أثق بتفهمك إياه يا إترسون: الأمر شخصي، فأرجوك أن تدعه وشأنه.

أشاح إترسون وجهه نحو النار، وفكر قليلًا ثم في النهاية قال وهو ينهض: لا يساورني أدنى شك بشأن معقولية حديثك.

- حسنًا، بما أننا عرجنا إلى هذه المسألة، وللمرة الأخيرة كما آمل، هناك نقطة أود لو تفهمها. أنا أهتم كثيرًا بهذا المسكين هايد. أعلم أنك رأيته، لقد أخبرني بذلك، وأخشى أنه تصرف بوقاحة. ولكني حقًا أهتم بشدة لحال هذا الشاب، وإذا رحلت يا إترسون، أرجو منك أن تمنحني وعدك بالتواصل معه ومنحه حقوقه. أعتقد أنك ستفعل على أي حال، ولكنك ستزيل عن عاتقي جبلًا من الفكر إذا وعدتني.

- لا يسعني أبدًا أن أتظاهر بمحبته.

وضع چيكل قبضته على ذراع صديقه، وأردف في استجداء: لا أسألك ذلك، كل ما أسألك إياه هو العدالة، أسألك فقط أن تساعده لأجلي، حين يأتي أجلي.

تنهد إترسون بعمق، وقال: حسنًا، أعدك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قضية مقتل كارو

بعد مرور ما يقرب من العام على وقوع تلك الحوادث، وتحديدًا في الثامن عشر من شهر أكتوبر، هزت أنحاء لندن جريمة وحشية وكانت أكثر أهمية من أسلافها؛ بسبب مكانة الضحية المرموقة. صعدت خادمة تعيش وحيدة في منزل ليس بعيد عن ضفة النهر إلى غرفتها لتنام قرابة الحادية عشرة مساءً. رغم أن الضباب قد خيّم على المدينة في الهزيع الأخير من الليل؛ فإن الساعات الأولى من الليل كانت تحمل سماءً صافيةً، وقد أضاء القمر المكتمل جانب الرصيف الذي تطل عليه نافذة الخادمة. بدا أنها تأثرت بشاعرية الأجواء فجلست على الصندوق المرتفع الموضوع مباشرةً أسفل النافذة، وسبحت في حلم مسلٍّ. لم تشعر قط من قبل (هكذا قالت، والعبرات تنحدر من مقلتَيها حين كانت تقص تجربتها) بهذا السلام مع البشرية بأسرها، وهذا الحب للعالم. وكذا لاحظت من موضعها رجلًا مسنًّا مليح الوجه له شعر أبيض، يسير مقتربًا على الرصيف، ومن الجهة المعاكسة يسير في اتجاه رجل ضئيل الحجم، لم تعِره في البداية كثير انتباه. حين بدأ حديث بينهما (كان ذلك مباشرةً تحت أنظار السيدة) انحنى العجوز بتهذب للرجل، وخاطبه بأكثر الطرق أدبًا. لم يبدُ الحديث في البداية له أهمية كبيرة، بدا أن أحدهما يسأل الآخر عن الطريق، في البداية لم تتبين الخادمة ملامح وجه العجوز،

ولكن في أثناء حديثه، كسا شعاع القمر وجهه، وشعرت الفتاة بسرور لرؤية هذا الوجه البريء، الذي يفيض بعطف وحنو المسنين، ولا يخلو من الفخر والاعتزاز بالذات. ثم التف نظرها إلى الرجل الآخر، ولعظيم دهشتها ميّزت فيه شخصًا بعينه، السيد هايد، الذي زار سيدها يومًا ما، وقد راودها شعور بالمقت تجاهه منذ تلك الزيارة. في يده كان هايد يحمل عصا ثقيلًا أخذ يلهو بها، وبدا يستمع بسأم لسؤال العجوز بينما لم ينبس ببنت شفة. ثم، على حين غرة، استشاط غضبًا، وأخذ يركل الأرض بقدمه، ويُلوِّح بالعصا، واستمر على هذه الحال (كما وصفت الخادمة) كالمجنون. تراجع العجوز المحترم خطوة إلى الوراء، وبدت عليه الدهشة والإهانة، حينها كسر السيد هايد كل القيود وصفع الرجل ليسقطه على الأرض. في اللحظة التالية، وبجنون يشبه ثورة القرود، ضغط بقدمه على جسد ضحيته وانهال عليه بالعصا، ضربات سُمِع معها تكسُّر هذا المسكين، بل من فرطها تزحزح الجسد الهامد إلى قلب الطريق. فقدت الخادمة وعيها بعدما أصابتها نوبة من الهلع جراء ما رأته من فظيع الحوادث.

لم تستعِد وعيها إلا في الثانية بعد منتصف الليل، وحينها هاتفت الشرطة. كان المجرم قد هرب منذ فترة، ولكن الضحية لا يزال مسجيًّا على الطريق وقد تهشم جسده بالكامل. وقد تكسرت العصا سلاحِ الجريمة، رغم أنها صُنِعت من خشب عتيد صلب، موحية بقدر الوحشية التي استُخدِمت بها. نصفها تدحرج عبر الطريق واستقر في أحد المزاريب المجاورة، أما الأخرى، بلا شك، قد حملها القاتل الهارب. وجدت بين طيات ملابس القتيل، حافظة نقود وساعة ذهبية، ولكن لم تجد الشرطة أي كارت أو أوراق شخصية، عدا مظروف مغلق بالشمع الأحمر، من المرجح أنه

كان يحمله إلى مكتب البريد حين صادف القاتل، على المظروف كتِب اسم السيد إترسون وعنوانه.

أُحضِرت تلك الرسالة إلى المحامي في الصباح التالي قبل أن يغادر مضجعه، حين رأى المحامي الرسالة، وعرف الحوادث التي وقعت ليلة أمس لم ينبس إلا بكلمات قليلة: لن أعلِّق قبل أن أرى جسد المقتول، قد يكون الأمر في غاية الخطورة. أرجو أن تنتظرني برهة حتى أرتدي ثيابي. وبالوجه الملتاع ذاته تناول إترسون وجبة الإفطار على عجل وهرع إلى مركز الشرطة حيث نُقِل جسد المقتول. بمجرد أن دلف إترسون إلى الغرفة المُسجى فيها الجسد، أومأ برأسه قائلًا: نعم، أعرفه. يؤسفني أن أعلن أن هذا الرجل هو السير دان□رس كارو.

هتف الضابط: إلهي الرحيم! أهذا يمكن سيدي؟ صمت برهة ثم أضاء وجهه طموحه المهني، وأردف: هذا الأمر سيسبب جلبة استثنائية، وربما يمكنك مساعدتنا للقبض على هذا الرجل. ثم باختصار قص الضابط على مسامع إترسون ما رأته الخادمة، وأطلعه على العصا المكسورة.

ارتعد السيد إترسون بالفعل حين سمع اسم هايد، ولكن حين رأى نصف العصا الذي وجدته الشرطة، ميّز عصا مألوفة، عصا قدمها بنفسه هدية لهنري چيكل. سأل إترسون: هل كان للسيد هايد جسدًا ضئيلًا؟

- ضئيل للغاية، وكذلك اتسم بنظرة خبيثة واضحة، هذا ما وصفته الخادمة.

فكر السيد إترسون لبرهة، ثم رفع رأسه نحو الضابط, وقال: أعتقد أنني قادر على إرشادك نحو بيته، إذا جئت معي في سيارة أجرة.

كانت الساعة تقرب التاسعة صباحًا، وكسا السماء ضباب الصباح المعتاد في هذا الفصل من العام. كانت السيارة تقطع الشوارع بينما غطت السماء سحابة داكنة بلون الكاكاو، لكن الرياح أسهمت في تحريكها رويدًا رويدًا، ووجه السيد إترسون علته درجات مختلفة من الشحوب الواضح، حتى بدا وجهه يعكس صفحة السماء، قليلًا ما تتحول لظلمة أشبه بظلمة الليل، وقليلًا ما يسطع فيها شعاع لامع نشيط، أحيانًا يكسوها الضباب، وثمة قبس من الشمس يكسره معلنًا حلول النهار. بدا هذا الحي في سوهو تحت السماء المتغيرة يرفل في ثوب كئيب، وشُوهِدت شوارعه الموحلة وأزقته الزلقة، وأعمدة الإنارة التي لم تُضَأ قط أو بُدِّلت شموعها لتنير هذه الظلمة الكاسحة، وشعر المحامي وهو ينظر لهذا المنظر كأنه يدلف إلى حي في مدينة تزور المرء في كوابيسه. علاوة على هذا الشعور، كانت الأفكار المتلاطمة في عقله لها وقع أكثر كآبة، وحين اختلس نظره إلى رفيقه في العربة، شعر بلمسة من الرعب تعتريه، تلك اللمسة الطبيعية التي تمس أكثر الناس نزاهةً أمام سطوة القانون ومنفذيها.

بينما دنت السيارة من العنوان المقصود، كان الضباب ينقشع قليلًا سامحًا لإترسون أن يلمح قصر الچين، ومطعمًا فرنسيًّا متواضعًا، وحانوتًا لبيع أطباق السلطة زهيدة السعر يتكدس أمام مدخله الأطفال، وتدلفه نساء من جنسيات مختلفة ليحظين بشراب

صباحي، ثم هبط الضباب مجددًا حاجبًا عن إترسون هذا المحيط الكئيب. هنا يقع منزل صديق هنري چيكل المفضل، هنري الذي ورث ربع مليون جنيه إسترليني.

فتح باب المنزل سيدة لها بشرة عاجية وشعر رمادي، لها وجه به مسحة شيطانية ولمحة من رياء، لكن تصرفاتها كانت مُثلَى. أكدت السيدة أن ذاك هو منزل السيد هايد، ولكنه غير موجود الآن، لقد وصل متأخرًا ليلة أمس، مع ذلك غادر في ساعات الصباح الأولى من اليوم. لم ترَ الخادمة تصرفًا غير عادي في فعل هايد، كانت عاداته متقلبة، وغالبًا ما غاب عن المنزل، على سبيل المثال، لم ترَه الخادمة منذ شهرين قبل أن يحضر ليلة أمس.

قال المحامي: حسنًا، نريد أن ندلف إلى غرفته.

حين صرحت الخادمة باستحالة تنفيذ طلبهم، أردف المحامي: من الأفضل أن أعرفك برفيقي، المحقق نيوكومن من سكوتلاند يارد.

تحولت ملامح الخادمة لابتهاج بغيض، وقالت: آه! هل وقع في مشكلة! ماذا فعل؟

تبادل المحقق والسيد إترسون النظرات، وقال الأخير: لا يبدو أن السيد هايد شخصية محبوبة، الآن، سيدتي العزيزة، دعيني أدلف أنا وهذا المحترم لنلقي نظرة في الجوار.

كان المنزل بأكمله خاويًا من أي شيء سوى الخادمة، استغل السيد هايد غرفتين فقط وأثثهم بأثاث أنيق فاخر. كانت الخزانة ممتلئة بأقنية النبيذ، والأطباق من الفضة، وعلى الطاولة فُرِش غطاء أنيق من الحرير، على الحائط عُلِّقت صورة أنيقة، هدية (كما رجَّح إترسون) من هنري چيكل، الذي اتسم بذوق بديع في تلك الأمور، أما السجاد فكان مبهرج الألوان مختلف الخيوط. مع ذلك، بدت الغرفتان كما لو كانتا قد تعرضتا للنهب، الملابس أُلقِيت في حالة رثة على الأرض، وفُتِّشت جيوبها، الأدراج مفتوحة، وفي المدفأة وجدت كومة من رماد كما خلفته صحف محروقة. من هذا الركام أخرج المحقق طرف دفتر شيكات أخضر، يبدو أنه قاوم ألسنة اللهب، أما النصف الآخر من سلاح الجريمة -العصا- وُجِدت خلف باب الغرفة؛ مما أسرى السعادة في نفس الضابط وأعلنها صراحةً. واكتمل امتنانه بعد زيارة البنك، حيث وجدا عدة آلاف من الجنيهات في حساب القاتل. حينها صرح الضابط لإترسون: يمكنك الثقة في قولي أيها السيد، أحكمت قبضتي على الرجل. بالتأكيد قد فقد عقله، وإلا ما كان أبدًا لينسى العصا، أو يحرك دفتر الشيكات. لماذا؟ لأن المال هو الحياة للرجل. ليس في وسعنا الآن سوى التربص به في البنك لإلقاء القبض عليه.

لم تكن تلك الخطة على أي حال سهلة التنفيذ كما سُرِدت؛ لأن السيد هايد لم يكن مألوف الوجه، حتى خادمته لم ترَه سوى مرتين، لم يتمكن الضابط من العثور على أسرته في أي مكان، ولم تُلتقَط أي صورة لهايد، كما اختلفت القلة التي قابلته من قبل على طبيعة أوصاف وملامحه. لكنهم جميعًا اتفقوا على نقطة واحدة، وهي العاهة غير المُحددة التي لاحظوها بشكل أو بآخر في مظهر صاحبنا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

واقعة الرسالة

كانت ساعة متأخرة من بعد الظهيرة، حين وصل السيد إترسون إلى منزل دكتور چيكل، قابله بول الذي أدخله على الفور إلى المنزل ثم اقتاده إلى المطبخ ومنه إلى باحة فسيحة كانت حديقة ذات يوم، وصوًلا إلى المبنى المعروف بالمعمل أو غرف التشريح. اشترى الدكتور هذا المنزل من ورثة جراح شهير، ولأن هواياته التجارب الكيميائية والتشريحية، فقد شكَّل المنزل والحديقة بما يتماشى مع أهوائه. كانت تلك المرة الأولى التي يدلف فيها المحامي إلى هذا الجزء من ملكية صديقه، ورمق المبنى الوضيع الخالي من النوافذ بفضول، وانتابه شعور كريه وهو يمر عبر غرفة المحاضرات التي كانت تعج ذات يوم بطلاب العلم المتحمسين بينما ترفل اليوم في حلة من الصمت والسكون، تعاظم الشعور وهو يرى الطاولات المكتظة بأدوات الاختبار الكيميائية، والصناديق المبعثرة في أرجاء الأرضية، والضوء الخافت الضئيل الذي ينير بصعوبة قبة السقف. في نهاية الطابق هناك سلالم تقود إلى باب مُغطًّى بقطعة قماش من الصوف الأحمر، عبره دلف السيد إترسون إلى غرفة الدكتور. كانت غرفة فسيحة مؤثثة على طراز غريب، من ضمن ملامحها مائدة عمل ومرآة بيضاوية، وتطل الغرفة على ساحة داخلية عبر نوافذ مغبرة تحرسها أعمدة الحديد. كانت النار تشتغل في المدفئة، وقد أُضِيئت لمبة ووُضِعت على سطح المدفأة؛ لأن حتى المنازل لم تسلم من الضباب الكثيف، وهناك، بالقرب من دفء النيران، جلس الدكتور چيكل وعلى وجهه علامات مرض ثقيل. لم ينهض چيكل لاستقبال زائره، ولكنه مد يدًا باردة وحياه مرحبًا بصوت مهتز، فور ما غادرهما بول قال إترسون: أخبِرني الآن، هل سمعت الأخبار؟

ارتجف الطبيب قائلًا: كانوا يهتفون بها في الحي، سمعتهم بينما كنت أجلس في غرفة الطعام.

- أريد منك قولًا فصلًا، كارو كان موكلي، لكن كذلك أنت؛ لذلك أريد أن أفهم ما عليَّ فعله. أنت لم تفقد صوابك تمامًا وأقدمت على تخبئة هذا الرفيق؟

- إترسون، أقسم باسم الرب، قالها چيكل صائحًا، واستطرد: أقسم باسم الرب أنني لن أقابله في حياتي مرة أخرى. أحدثك حديث شرف أنني انتهيت تمامًا منه، انتهى كل شيء. وبالتأكيد هو ليس في حاجة لمساعدتي، أنت لا تعرفه كما أعرفه، هو بمأمن، هو ينعم بأمان بالغ، أرجو أن تعي كلماتي جيدة، لن يُرَى مرة أخرى في أي مكان.

استمع المحامي في وجوم لكلمات صديقه وطريقته المحمومة التي لم ترُق لإترسون على الإطلاق، ثم قال: يبدو أنك واثق تمامًا مما تقول، ولمصلحتك، أرجو أن تكون على حق. لو ذهب الأمر للقضاء، ربما يُذكَر اسمك.

- أنا متأكد تمامًا مما أقول، أقف على أرض صلبة من المعلومات، ولكني لا أستطيع مشاركتها مع أحد. ولكن هناك أمر واحد أرجو أن تنصحني بشأنه. لقد تلقيت...

تلعثم الرجل قليلًا، وأكمل: لقد تلقيت رسالة، ولا أدري هل من الصواب عرضها على الشرطة؟ لذلك سأتركها بين يديك يا إترسون، أنت لديك حكم عادل، أنا أكيد، لديَّ كثير ثقة في شخصك.

- أعتقد أنك تخشى أن تكشف هذه الرسالة عن مكانه؟

- لا، لا أعتقد أنني مهتم بما قد يحدث لهايد، لقد انتهت علاقتي به. أنا أكترث لشخصي، وما قد يصيبني من ضرر بسبب هذا الأمر البغيض.

صمت إترسون لبرهة يفكر بعمق ويزن الكلمات، أدهشته أنانية صديقه، ولكنها أسرت في نفسه شعورًا مريحًا، في النهاية قطع الصمت قائلًا: حسنًا، أطلِعني على الرسالة.

كُتِبت الرسالة بخط أعرج غريب، وذُيِّلت بتوقيع: «إدوارد هايد». وذكرت الرسالة باقتضاب، أن السيد هايد، الذي أسداه الدكتور چيكل العديد من الخدمات الجليلة، يحتاج إلى عمل على الفور دون أن يلفت الأنظار، وذلك لسلامته الشخصية؛ حيث تمكن من تأمين وسيلة هرب يُعتمَد عليها. أعجِب المحامي بتلك الرسالة؛ لأنها دحضت شكوكه بشأن العلاقة الوطيدة بين چيكل وهايد، بل وبدأ يلوم نفسه على الشكوك التي ساورته. سأل المحامي: هل ما زلت تحتفظ بمظروف الرسالة؟

- لا، حرقته قبل أن أفكر فيما يجب عليَّ أن أفعله، لكنه -على أي حال- لم يحمل أي طابع بريدي، لقد أوصله أحدهم لعتبة الباب.

- هل تشاء أن أتكتم على هذا الجواب؟

- أتمنى أن تقرر لي ما علينا فعله، لقد فقدت ثقتي في ذاتي.

- حسنًا، سأفكر في الأمر. والآن لديَّ ما أضيفه، كان هايد مَن أملى عليك بنود وصيتك؟

بدا أن نوبة دوار باغتت الدكتور أخرسته، ثم أومأ موافقًا، قال إترسون: كنت أعرف، لقد كان ينوي قتلك، يبدو أنك نجوت بحياتك.

- لقد نجوت بأكثر من ذلك، تعلمت درسًا مهمًّا، يا إلهي الرحيم! يا له من درسٍ تعلمته يا إترسون!

قالها وحجب وجهه بيديه لدقائق.

في طريقه لمغادرة المنزل، توقف المحامي دقائق ليتبادل حديثًا مقتضبًا مع بول: بالمناسبة، أريد أن أسألك عن الرسالة التي وصلت اليوم، هل يمكنك وصف حاملها؟

أكد بول أنه لم تصل أي رسائل اليوم سوى بواسطة ساعي البريد، وأنه متأكد مما يقول.

تجددت المخاوف لدى إترسون حين سمع تلك الكلمات الواثقة من بول. من الواضح أن الرسالة وصلت عبر باب المعمل، من المحتمل أنها كُتِبت داخل المنزل، لو كان

هذا التكهن حقيقة، يجب أن يتعامل إترسون بحرص بالغ مع هذه المسألة. أما بائعو الجرائد الذين قابلهم في طريقه كانوا يصرخون بصوتٍ مرتفع: «طبعة خاصة.. جريمة مقتل م. ب. الصادمة». هكذا كانت خطبة رثاء صديقه وموكله، ولم يكن إترسون يملك ما في وسعه فعله خشية أن يتورط اسم صديق عزيز آخر في هذه الفضيحة. كان قرارًا عسيرًا، ويحتاج لكثير من الثقة؛ لذا طاق إترسون لنصيحة تدله إلى طريق الصواب. ربما لن تصل به لوجهته المنشودة مباشرةً، ولكن على الأقل ستمنحه قبسًا من نور.

بعد برهة، في منزله، جلس إترسون إلى طرف مدفأته رفقة السيد جست رئيس خدمه، وبينهما، على مبعدة من النار، وُضِعت زجاجة نبيذ معتق تركها لفترة طويلة في قبو منزله. لا تزال المدينة غارقة في سحب الضباب، وأعمدة الإنارة ترسل قبسًا هزيلًا، مع ذلك حركة الناس الدءوبة لا تزال تغزو المدينة كما الرياح العتيدة. أضاءت الغرفة ألوان اللهب المنبعث من المدفأة. أما النبيذ فكان مُعتقًا بجدارة، أصبح لونه قاتمًا يتراقص للناظر عبر الزجاج، كما توهُّج ألوان الخريف، أو كألوان كروم العنب تحت شمس الظهيرة، بدا النبيذ قادرًا على تبديد ضباب لندن. دون دراية تحدَّث المحامي. لم يُخفِ إترسون إلا أسرارًا قليلة عن السيد جست، أسرارًا أراد أن يحافظ على الكثير غيرها، ولكنه لم يستطِع. كان جست على صلة بأعمال إترسون الخاصة بچيكل، كما عرف بول؛ لذلك كان يعرف بشأن زيارات هايد المتكررة للمنزل، واستطاع جست أن يحلل ويستنبط بعض النتائج. ألم يكن الأصوب اعتبار هذه الرسالة من هايد حلًّا للغز؟ والأهم من ذلك أليس جست قادرًا بصفته خبيرًا في الخطوط أن يقرر ما إذا كان الخط طبيعيًّا وكيف كانت ظروف كتابته؟ علاوة على هذا كان الرجل صاحب وجهة نظر؛ لذا لا يمكن أن يعرف تلك الحوادث ويحللها دون أن يضيف ملاحظة قد تساعد السيد إترسون للطريق الصواب. قال إترسون: أنا حزين لوفاة السير.

- نعم يا سيدي، معك حق. لقد أثارت وفاته الكثير من تعاطف المجتمع، القاتل بالتأكيد فاقد لصوابه.

- أريد أن أسمع رأيك في هذا الشأن، لديَّ هنا وثيقة تحمل خط يده، لكن ليبقى الأمر بيننا؛ لأنني لم أقرر بعد ما عليَّ أن أفعله. ولكن ها هي ذي، بين يديك، بتوقيع القاتل.

لمعت عينا جست من فرط الحماس وجلس على الفور يفحص الوثيقة بشغف، قائلًا: لا سيدي، ليس مجنونًا، لكن خطه غريب يشير ليد غريبة التقويم.

- وبلا شك كاتب أغرب!

حينها دلف أحد الخدم حاملًا ملاحظة: أهي من السيد چيكل؟ تساءل جست، وأردف: أعتقد أنني ميزت خطه. هل تحمل في طياتها أي أخبار مهمة سيد إترسون؟

- فقط دعوة على العشاء. لماذا تسأل؟ أتشاء الاطلاع عليها؟

- للحظة إذا تكرمت سيدي.

حمل جست ملاحظة چيكل ورسالة هايد وأخذ يتفحصهما بعناية، ويقارن الخطين بتدقيق بالغ، ثم قال في النهاية: شكرًا لك سيدي.

أعاد الورقتين، وأردف: التوقيع أثار بالغ اهتمامي.

ساد الصمت لبرهة، صمت عانى فيه السيد إترسون بالغ المعاناة، ثم سأل مندفعًا: لماذا قررت مقارنة الورقتين يا جست؟

- دعني أخبرك سيدي أن هناك تشابهًا طفيفًا، بل لأقول إن الخطين يتطابقان في العديد من الجوانب، يختلفان فقط ربما في ميل الخط.

- أتقصد أن كلاهما يكتب بخط قديم الطراز؟

- نعم، هذا ما قصدته سيدي.

- لن أتحدث عن هذه الملحوظة، أتعي ذلك؟

- نعم سيدي، أتفهمك.

لكن بمجرد أن حل الليل على السيد إترسون بمفرده قرر المحامي أخيرًا مصير رسالة هايد حين أودعها خزنته وأوصد المزلاج عليها وهو يفكر: ما هذا؟! هل حاول هنري چيكل تزوير وثيقة لحماية قاتل؟!

وسرت قشعريرة باردة في جسد المحامي!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

واقعة الدكتور لانيون

مضى الوقت، عُرضت مكافآت بالآلاف نظير الوصول لقاتل السير، لكن السيد هايد اختفى تمامًا عن الأنظار، فشلت الشرطة في تتبعه كما لو كان ليس له وجود. بالطبع نبشت الشرطة في حوادث ماضيه وجميعها أشارت إلى سمعته السيئة. حكايات عن وحشة الرجل ظهرت وترددت في الأرجاء، عن عنفه وقسوته بصورة مفاجئة، عن حياته الغامضة، عن علاقاته الغريبة، عن الكراهية التي -كما يبدو- تحفُّه من كل جانب، ولكن أين هو الآن؟ ولا بنت شفة تناثرت عن تلك المعلومة. منذ رحل عن منزله في سوهو يوم الجريمة، أصبح كمَن شُقَّت الأرض وابتلعته، وتدريجيًّا، مع مرور الوقت، أحس السيد إترسون بضرورة تدخله، وازدادت رغبته في التحرك وفعل ما يجب عليه أن يفعله. كانت وفاة السير حافظًا أكبر له من اختفاء السيد هايد. أما على صعيدٍ آخر، بعدما انسحبت هذه الروح الشرير من حياته، أخذت حياة الدكتور چيكل في التحسن رويدًا. عاد الرجل من عزلته، جدد أواصر صداقاته القديمة، أصبح مرة أخرى صديقهم المخلص ومضيفهم المرحب المحب.

دائمًا ما عُرِف چيكل بعمله الخيري، الآن أصبح معروفًا أيضًا بورعه والتزامه الديني. كان دائمًا مشغولًا، يتحرك في شوارع المدينة لفعل الخير، بدا وجهه منشرحًا وباشًّا، كما لو كان في داخله حماس متقد، ولمدة شهرين عاش الدكتور چيكل في سلام.

في الثامن من يناير كان السيد إترسون يتناول العشاء في منزل الدكتور چيكل رفقة صحبة من الأصدقاء، كان لانيون من بينهم، وأخذ چيكل ينظر لهما نظرات حنين للأيام الخوالي، حين كان هذا الثلاثي لا يفترق. لكن في الثاني عشر من الشهر عينه ذهب إترسون لزيارة چيكل ولم يسمح له بالدخول، ثم تكررت الواقعة في الرابع عشر من يناير، وتذرع بول قائلًا: الدكتور معتكف في منزله ولا يشاء مقابلة أي أحد. في الخامس عشر من يناير كرر إترسون تجربته، ورُفِض من جديد. شعر إترسون بثقل هذه الوحدة التي عاد إليها چيكل، خاصةً بعدما اعتاد رؤية صديقه خلال الشهرين الماضيين بصورة شبه يومية. في الليلة الخامسة حظا إترسون بالعشاء رفقة جست، وفي الليلة السادسة حمل نفسه وذهب لمنزل الدكتور لانيون.

في منزل لانيون على الأقل سيُسمَح له بالدخول، لكن فور أن دلف إترسون إلى المنزل صدمه المظهر الذي وجد عليه صديقه. كمَن قرأ لتوه وثيقة الأمر بإعدامه. تحولت الدموية في وجه الرجل إلى شحوب واضح، بدا أضعاف عمره الحقيقة. مع ذلك لم تكن تلك المؤشرات الجسدية العديدة التي تُوضِّح انهيار الدكتور لانيون هي ما جذبت انتباه المحامي، بل كانت نظرة الرجل، وطريقته التي رسخت أعتى مشاعر الرعب في عقل صديقه. كان من المستبعد أن يخشى الدكتور لانيون الموت، ولكن هذا ما استنبطه إترسون وساوره بشأنه شك كبير، وحدَّث نفسه قائلًا: نعم، هو طبيب، بالتأكيد يعرف حالته البدنية جيدًا، وأن ساعاته معدودة في هذه الحياة، والمعرفة ربما أثقل مما يتحمل.

حين قرر إترسون مصارحة لانيون بشأن مظهره الشاحب العليل، أعلن لانيون بنبرة راسخة ومظهر وقور حاد أنه في عداد الأموات قائلًا: لقد تعرضت لصدمة، ولن أتعافى منها أبدًا. ميقات موتي في غضون أسابيع. الحق يُقال، الحياة كانت سعيدة، أحببت الحياة، أجل سيدي، أو لنقل كنت أحب الحياة. أحيانًا أفكر أننا لو كنا نعرف الحياة جيدًا بكل جوانبها لسعدنا بمغادرتها.

أضاف إترسون: چيكل هو الآخر مريض، هل رأيته مؤخرًا؟

هنا تغير وجه لانيون، ورفع يدًا مرتعشًا، ثم أردف: أرجو ألّا أسمع أو أعرف المزيد عن چيكل، قالها بصوت خفيض مهتز، ثم أردف: لقد فاض بي الكيل بشأن هذا الرجل؛ لذا أرجوك أن تقيني شر الإشارة إلى هذا الرجل الذي اعتبره في عداد الأموات.

زفر إترسون في تعجب واحد، ثم بعد برهة صمت تساءل: هل يمكنني أن أساعد بشكل ما؟ نحن أصدقاء منذ زمن طويل يا لانيون، لن نحظى بسنوات أخرى تساوي ما عشناه معًا.

- ليس هناك ما يمكننا فعله إترسون، ربما عليك أن تسأله.

- لن يقابلني.

- لسه مندهشًا من ذلك. يومًا ما يا إترسون، يومًا سيحل بعد وفاتي، ربما من المحتمل أن تفهم وتميز الخطأ من الصواب، والغث من السمين. لكن أنا لا يمكنني أن أخبرك، وحاليًّا، إذا كان في وسعك أن تمكث لتحدثني عن أمور أخرى، فبحق الرب افعل ذلك، لكن لو لم تستطِع العزوف عن الحديث في هذا الأمر الملعون، إذن، وبحق الرب أيضًا، ارحل، ليس في استطاعتي تحمُّل ذلك.

فور ما وصل إترسون إلى منزله، قرر أن يكتب لچيكل يلومه ويتذمر من هذه العزلة التي فرضها على نفسه، ويسأله عن سبب الشقاق التعيس بينه بين لانيون. جاء الجواب في اليوم التالي، في كلمات مقتضبة مثيرة للشفقة، وبين طياتها ألفاظ غامضة مشئومة. لكن بدا أن الصدع الذي حدث بينه وبين لانيون لن يُرأب وقد ذكره چيكل كاتبًا: أنا لا ألوم صديقنا القديم، لكنني مقتنع برأيه: لا ينبغي علينا أن نتقابل مجددًا. وقد قررت من الآن فصاعدًا أن أحظى بحياة منعزلة تمامًا، لا تندهش، وأرجو أيضًا ألّا تشك في صداقتنا، إذا وجدت بابي موصدًا دومًا أمامك. يجب أن تسمح لي بالسير في طريقي المظلم والمقدر. لقد جلبت على نفسي مخاطر وعقاب لا يمكنني ذكره. لو كنت شيخ الخطاة فأنا شيخ المعذبين أيضًا. لا يمكنني التفكير في مكان على هذه الأرض مخيف ومفزع ويثير المعاناة إلا واقترن بالإنسان، ليس في وسعك سوى أمر واحد يا إترسون، أن تضيء هذا القدر، كيف؟ أن تحترم رغبتي في الصمت.

كان إترسون في حالة دهشة كاملة، لقد انتهى تأثير هايد السوداوي، وعاد الدكتور لعاداته القديمة، ووثَّق أواصره مع الأصدقاء، منذ أسبوع كانت الحياة تبتسم له وتشير إلى اقتراب عصر جديد بديع ومبهج، والآن، في هذه اللحظة تحديدًا، تحطم

كل شيء، صداقته، سلامه وجوهر حياته. تغيُّر مفاجئ وحاد مثل هذا بالتأكيد يثير الفضول والجنون، ولكن بالنظر لكلمات لانيون وسلوكه، بدا من المؤكد وجود سر خفي وقاعدة أشد صلابة تفسر سبب هذه الحوادث.

بعد هذا الحديث لازم السيد لانيون الفراش، وفي غضون أسبوعين وافته المنية. في الليلة التي تلت الجنازة، جلس إترسون وقد أثقله الحزن، في غرفة مكتبه، أغلق الباب، وعلى ضوء شمعة كئيبة أخرج مظروفًا موجهًا له ومُغلقًا بالشمع الأحمر، تركه له صديقه الراحل، وكُتِب عليه بدقة شديدة: خاص. يُسلَّم ليد الدكتور ج. چ. إترسون. وفي حالة وفاته قبل الاستلام يُحرَق المظروف وغير مسموح بقراءته. قرأ المحامي العنوان وقد اعتراه خوف بالغ مما يضمه المرسال وفكر: لقد دفنت صديقًا اليوم، ماذا لو كلفتني قراءة هذا الجواب خسارة صديق آخر؟ حينها شعر إترسون أن الخوف خيانة، وشرع يفض الخطاب. داخل المظروف وجد إترسون مظروفًا آخر أصغر حجمًا، أُغلِق كذلك بالشمع الأحمر وكُتِب عليه: لا يُفتَح قبل موت الدكتور هنري چيكل أو وفاته. حينها لم يُصدِّق إترسون ما يقرؤه بأم عينه. تتكرر لفظة اختفاء مجددًا، هذا اللفظ الأحمق الذي كُتِب أول مرة في الوصية الخاصة بالدكتور چيكل ولم يستطِع إترسون فهم أو استيعاب سبب لاختفاء چيكل، هنا تتكرر مجددًا احتمالية اختفاء شخص، وهو مجددًا هنري چيكل. لكن في الوصية كان الاختفاء مقترنًا بالحضور الشيطاني للمدعو هايد، سبب وجودها ربما كان واضحًا ومخيفًا. أما أن يذكرها لانيون، فماذا يقصد؟ أو بالأحرى ماذا تعني تلك الكلمة له؟ بلغ الفضول مبلغه بالرجل الموثوق في أمانته، وحثه على خيانة الأمانة وسبر أغوار تلك الألغاز المتراكمة، ولكن شرف المهنة والإيمان بأسباب صديقه الراحل التي دفعته لمثل ذاك الطلب، جعلته يهذب فضوله، وقبع المظروف غير مفتوح في خزانته الخاصة.

داخل نفس إترسون تلاطم شعوران، شعور أخجله من فضوله، وآخر دفعه لقهره، ربما قد نشك، من ذلك اليوم، في رغبة إترسون، أو بالأحرى، اهتمامه بما فيه صالح صديقه، على الأقل ليس بالحماس ذاته. كان يشعر تجاهه بالعطف، ولكن بالخوف والاشمئزاز أيضًا. بالطبع لم تتوقف محاولاته للتواصل معه، لكن كان يشعر هذه المرة بارتياح حين يرفض لقاءه، ربما في قرارة نفسه كان يُفضِّل الحديث مع بول عند عتبة الباب، بينما أضواء المدينة، وهواؤها، وأصواتها تحيط به، كان ذلك أفضل من الولوج إلى هذا المنزل المعزول نزولًا على رغبة صاحبه، وأفضل من الجلوس مع هذا المنعزل الذي صار من العسير فهم عقليته وما يدور في خُلده. عرف إترسون، الآن أكثر من ذي قبل، أن الدكتور أصبح لا يغادر الغرفة التي تقع أعلى المعمل -أو غرفة التشريح- حيث أحيانًا ما قضى ليلته نائمًا. أصبح دائمًا في مزاج عكر، صامت، لا يقرأ، بدا أن هناك ما يدور في خاطره. حتى إترسون أصبح معتاد هذه الأخبار المتكررة والتقارير الأحادية التي يسمعها عن صديقه، حتى قلَّت زياراته رويدًا رويدًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

واقعة النافذة

صادف يوم الأحد، حين كان السيد إترسون في نزهته المعتادة مع إنفيلد، أن طريقهما تقاطع عبر الطريق الجانبي، هذا الطريق بعينه الذي بدأ عنده اللغز، وحين وصلا أمام الباب، وقف كلاهما في التو وحملقا فيه. ثم قال إنفيلد: حسنًا، على الأقل هذه القصة توشك على النهاية. لن نرى هذا السيد هايد مجددًا.

- أرجو ذلك، هل أخبرتك من قبل أنني قابلته؟ وأشاركك الرأي في شعورك بالاشمئزاز والتقزز منه.

- من المستحيل أن تقابله ولا تشعر باشمئزاز وتقزُّز. بالمناسبة، ربما ظننتني أحمق كبيرًا لجهلي بحقيقة هذا الباب، وأنه الجزء الخلفي من منزل الدكتور چيكل صديقك! مع ذلك أعتب عليك -جزئيًّا- جهلي ذاك، وعلى أي حال لقد عرفت الحقيقة.

- في النهاية قد عرفت. ربما يمكننا أن ندلف إلى الباحة الخارجية ونلقي نظرة عبر النوافذ. لا أخفي عنك سرًّا، أشعر بقلق بالغ وعدم ارتياح واضح تجاه وضع المسكين چيكل. أشعر أن كتف صديق، حتى لو خلف الزجاج، سيساعده.

أذعن إنفيلد لرأي صديقه، ودلفا إلى الباحة. كانت باردة، كئيبة نوعًا ما، وقد صبغتها ألوان الغسق كليًّا رغم أن ضوء الغروب الأخير لا يزال يسطع في الشوارع. كانت النافذة الوسطى من النوافذ الثلاث نصف مفتوحة، وعلى مقربة منها، رأى إترسون صديقه الدكتور چيكل جالسًا ارتسمت على وجهه أشد علامات الكرب والكآبة، كما السجين البائس. هتف إترسون: هذا أنت يا چيكل! أرجو أن تكون في حال أفضل.

جاوبه الدكتور بصوت كئيب: أنا في حالة مزرية يا إترسون، مزرية للغاية. لن يطول بي المقام هنا، حمدًا للرب.

- إنك تمكث فترة أطول من اللازم وراء الأبواب المغلقة، يجب أن تخرج إلى الشارع، تتنزه في الأرجاء كما أفعل أنا والسيد إنفيلد.

ثم نظر نحو رفيقه قائلًا: هذا قريبي السيد إنفيلد، سيد إنفيلد، هذا صديقي الدكتور چيكل. واستطرد: هلمَّ يا چيكل، أحضِر قبعتك ولتتنزه قليلًا معنا.

تنهد الآخر وقال: أنت في غاية اللطف، وأنا أتوق لقبول عرضك، لكن لا، لا، ولا، من المستحيل، لا أجرؤ على القبول. لكن بالطبع إترسون أنا في غاية السرور لرؤيتك، حقًّا من دواعي سروري البالغ، كنت أود لو أدعوك والسيد إنفيلد إلى الداخل، لكن المكان هنا لا يليق.

أضاف المحامي بحسن نية واضحة: حسنًا، لا يزال هناك ما يمكننا فعله، الأفضل أن نمكث حيث نحن ونتحدث معك عبر النافذة.

- كنت على وشك أن أقترح هذا الأمر. قالها الدكتور وابتسم، لكن الكلمات بدت تخرج بصعوبة من بين شفتَيه، ثم خفتت الابتسامة سريعًا وتبعها تعبير غريب يشي

بالذعر واليأس المطلق، تجمدت له دماء الرجلين الرابضين أسفل النافذة.

كان تعبيرًا خاطفًا، بصعوبة بدا لهم من خلف النافذة نصف المفتوحة، ولكن هذه اللمحة كانت كافية لتدفعهما أن يستديرا ويغادرا المكان دون أن ينبسا ببنت شفة. في صمت واجم عبرا الشارع الجانبي، ولم يتبدد الصمت إلا حين وصلا لحي يدب فيه الحياة حتى أيام الآحاد، حينها التفت السيد إترسون ونظر إلى رفيقه. شحب كلاهما، وفي مقلتيهما تراقصت كلمات مفزعة، لفظ إترسون نائبًا عما يدور في خلدهما: ليسامحنا الرب، ليسامحنا الرب.

أومأ السيد إنفيلد رأسه في وجوم، وسارا مجددًا وثالثهما صمت ثقيل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الليلة الأخيرة

حين تفاجأ السيد إترسون بزيارة بول، كان ليلتها جالسًا يفكر أمام المدفأة بعد وجبة العشاء. هتف في دهشة قائلًا: ليحفظك الرب يا بول! ماذا جاء بك إلى هنا؟ صمت الرجل ليلقي نظرة ثانية على زائره، وأردف: وجهك يبدو عليه المعاناة، هل الدكتور مريض؟

بصعوبة تلفظ الرجل: سيد إترسون، هناك أمر ليس على ما يُرام.

- تفضل بالجلوس، إليك كأسًا من النبيذ. الآن أرجو أن تهدأ قليلًا، وأخبِرني بصراحة ما تريد قوله.

- أنت على دراية بوضع الدكتور يا سيدي، وكيف أغلق حياته وانعزل. حسنًا، لقد هذه المرة في غرفة في قسم التشريح، ولا يروق لي ذلك، أفضل الموت على هذا الوضع. سيد إترسون، أنا خائف.

- يا رفيقي الطيب، أرجوك كن واضحًا، مم تخف؟

- أنا خائف منذ أسبوع. مجددًا عاد بول لمراوغة السؤال المحدد، وأضاف: ولم أعُد أطيق هذا الخوف.

كان مظهر الرجل يُعبِّر عن حالته أفضل من كلماته، بدا في حالة يُرثَى لها، ومنذ اعترف للسيد إترسون أنه مرتعد من أمر ما، لم ينظر إلى المحامي أبدًا بعدها. جلس وكأس النبيذ فوق ركبته ونظراته تتجه نحو زاوية بعيدة من الغرفة، ثم كرر قوله: لم أعُد أطيق هذا الخوف.

- حسنًا، أرى أن لديك أسبابًا قوية لشعورك يا بول، أعتقد أن هناك أمرًا خطيرًا. حاوِل أن تخبرني ما هو.

فجأة هدر بول: أعتقد أن هناك لعبة قذرة تدور.

- لعبة قذرة! ردد إترسون بقلق، وقد بلغ به الخوف مبلغه ومس وتر صبره، ثم أردف: أيُّ لعبة قذرة؟! ماذا تعني يا رجل؟!

- لا أجرؤ على التفسير يا سيدي، ولكن هل تسمح أن ترافقني لترى بنفسك؟

كانت إجابة السيد إترسون أن نهض وأحضر قبعته ومعطفه، ثم لاحظ بعجب حجم الراحة والهدوء اللذين ارتسما على ملامح الخادم الذي نهض واضعًا كأس النبيذ على الطاولة دون أن يرتشف منها قطرة.

كانت ليلة باردة جامحة من ليالي مارس النمطية، يضيئها قمر شاحب، وقد هبت رياحها عتيدة وقوية من الاتجاهات الأربعة كافة. جعل صوت هبوب الرياح الشديدة الحديث عسيرًا، وتسببت صفعاته المتتالية في احمرار وجوه المارة. كانت الشوارع -على غير العادة- خالية من المارة؛ مما أثار عجب السيد إترسون الذي يظن أنه لم يرَ هذا الجزء من لندن قط وقد خلا من الناس. كان يتمنى لو ضجت الشوارع

بالحركة، أمنية غريبة، ولم يتمنّ قط في حياته أن يرى رفاقه من البشر مثل هذه المرة، ربما لأن النزاع الدائر في عقله أصابه بأعتى درجات الكآبة، وربما أيضًا لأنه ظن وجود الناس قد يُسري عنه. تراكم الغبار والتراب في جنبات باحة المنزل حين وصلا إلى أعتابها، وهبت الرياح بضراوة، وبدت الأشجار الضعيفة المنتصبة في الحديقة هزيلة في مهب الريح. بول، الذي حرص على السير أمام إترسون بخطوة أو اثنتين طوال الطريق متجنبًا بذلك أي حديث، توقف في منتصف الباحة، ورغم البرد القارس؛ فإنه خلع قبعته وأخرج من جيبه منديلًا أحمر ليمسح قطرات المياه المتكاثفة فوق جبهته. لم تكن تلك القطرات آثار الندى الخفيف المتكاثف في تلك الساعة من الليل، بل كان عرقًا، عرقًا تصبب من فرط القلق والخوف، كان وجهه شاحبًا، وحين تكلم صدر صوته أجش ومتردد: حسنًا سيدي، ها نحن ذا قد وصلنا، وليحمينا الرب.

- آمين.

دق الخادم الباب نقرات خفيفة، فُتِح الباب على استحياء، وسأل صوت من خلفه: هذا أنت يا بول؟

- لا تقلق هذا أنا، افتح الباب.

كانت القاعة التي دلفا إليها كثيفة الأضواء، المدفأة بُنِيت على ارتفاع واضح، وبقربها وقف كل الخدم -نساء ورجال- مطأطئي الرأس كما قطيع الخراف. حين ظهر السيد إترسون، انطلقت صرخة هيسترية من فم إحدى الخادمات، بينما الطاهية هتفت دون وعي: أيها الرب الرحيم! هذا السيد إترسون. وركضت نحوه كما لو تشاء احتضانه بين ذراعيها. قال المحامي في عجب: ما هذا؟! جميعكم هنا؟! أعتقد أن سيدكم سيكون غاية في الاستياء والضيق من هذا الجمع.

تدخل بول قائلًا: جميعهم خائفون.

تبع قول بول صمت ثقيل، لم يعترض أحد أو يضِف المزيد، فقط كسر الصمت صوت نحيب الطاهية. حدَّثها بول ناهرًا بنبرة وشت بتوتره الملحوظ: فلتصمتِي يا امرأة! بالتأكيد حين لم ترضخ السيدة لأمره، وارتفع صوت نحيبها أكثر، اتجهت أنظار الجميع وقد اكتست نظراتهم بأسوأ التوقعات، إلى الباب الداخلي. وجَّه رئيس الخدم بول كلامه إلى فتى من الخدم: والآن، امنحني شمعة، لنتحرك.

بعدها توجه بحديثه لإترسون يرجوه أن يتبعه، وتحرك بخطوات وئيدة نحو الحديثة الخلفية. ثم قال لإترسون: الآن يا سيدي، لقد تبعتني بلطفك البالغ، أريدك أن تنصت، دون أن يسمعك أحد. وأرجوك يا سيدي، إذا حاول بأي وسيلة أن يدعوك إلى الداخل، لا تدلف أبدًا.

تهاوت أعصاب السيد إترسون تحت وطأة هذه الأحداث الغريبة، لدرجة كادت تطيح باتزانه، ولكنه استجمع رباطة جأشه، وتبع رئيس الخدم إلى داخل مبنى المعلم، ثم دلفا إلى غرفة التشريح حيث الصناديق والزجاجات متناثرة في الأرجاء، ثم اتجها إلى عتبة السلم الصاعد للغرفة التي يقبع فيها چيكل. هنا توقف الخادم،

وحث إترسون أن يتوقف في ركن منزوٍ ويستمع، بينما هو -بول- تقدّم صاعدًا الدرج الذي ألقت الشمعة بضيائها لتنير عتمته، في نهاية السلم دق بول بيدٍ مرتعشة الباب الأحمر للغرفة. وقال: سيدي، السيد إترسون يريد مقابلتك. أرهف إترسون السمع حين ختم بول جملته، ليتلقى جواب سيده. جاء صوت من الداخل يقول في تململ: أخبِره أنني لا أستطيع مقابلة أيٍّ كان.

بصوت به مسحة انتصار قال بول: شكرًا لك يا سيدي. ثم حمل الشمعة مجددًا، وسار والسيد إترسون يتبعه عبر الباحة نحو المطبخ الكبير حيث النار قد خبتت وحشرات الخنفساء ترتع في أنحاء المكان. ثم قال وهو ينظر مباشرةً إلى عينَي إترسون: سيدي، هل كان ما سمعته صوت سيدي؟

رد المحامي شاحب الوجه وهو يتبادل النظرات مع بول: بدا أنه تغير كثيرًا.

- تغير؟ حسنًا، نعم، أظن أنه تغير. لقد خدمت في منزل هذا الرجل لعشرين سنة، هذه مدة طويلة جدًّا لا يمكن أن أنخدع في تمييز صوته، أليس كذلك؟ لا سيدي، لقد اختفى السيد، لقد اختفى تمامًا منذ ثمانية أيام مضت، حينها سمعناه يصرخ مناديًا الرب، ويسأله عن ماهيته هذا الكامن داخل نفسه ويحل محله، ولماذا لا يزال رابضًا، أتلك أسئلة نطرحها على رب السماوات يا سيد إترسون!

- هذه حكاية عجيبة تلك التي تقصها عليَّ يا بول، بل هي حكاية جامحة يا صديقي.

أخذ إترسون يقضم أظافره مفكرًا، ثم أضاف بعد برهة وجيزةٍ: لنفترض أن ما سمعته حقيقة، لنفترض أن الدكتور چيكل... حسنًا لنقلها صراحةً: قُتِل، ماذا سيدفع القاتل ليمكث في المنزل بعد قتله؟ هذا أمر غير مفهوم ولا يخضع لأي منطق.

- حسنًا سيد إترسون، أنت رجل من الصعب إرضاؤه، لكنني سأفعل. عليَّ أن أخبرك الآتي: طوال الأسبوع الماضي كان هذا الشخص، أو الشيء، أو أيًّا كان ما يقبع في غرفة سيدي، يصرخ آناء الليل وأطراف النهار سائلًا الحصول على دواء ما ولا يستطيع تذكُّر اسمه. كان من عادته أحيانًا -هذا بديل السيد- أن يكتب أوامره على قطعة من الورق ويلقيها على السلم. وهكذا طوال هذا الأسبوع الماضي لم نجد سوى الوريقات والباب المغلق، وكانت الوجبات التي نتركها على عتبة الباب تختفي عن الأنظار حين يتأكد القاطن خلف الباب أن المكان خاوٍ من الخدم. حسنًا سيدي، يوميًّا، مرتين أو ثلاث مرات كل يوم، كنا نعاني من تلك الأوامر والشكاوى، وقد أرسلت إلى جميع أطباء المدينة لأحصل على هذا الترياق. في كل مرة عندما أعود حاملًا القنينة، أجد ورقة أخرى تأمرني أن أعيده؛ لأنه ليس نقيًّا، ثم على ذات الورقة أمر جديد بإحضار غرض جديد. نحن في حاجة ماسة لهذا الترياق سيدي، حتى ونحن لا نعرف ماذا سيداوي!

بعد هذا الإسهاب المطول من بول عن حوادث الأسبوع الماضي، سأله إترسون: ألديك أيٌّ من تلك الورقات؟

تحسس بول جيب معطفه، ثم أخرج ورقة طُوِيت بطريقة غير مهندمة، حملها المحامي ليقرأها على ضوء الشمعة بتوخٍّ. كانت الكلمات كالتالي:

«الدكتور چيكل يتفضل بتقديم تذمره إلى السادة م. أ. و. ويؤكد لهم أن عينته الأخيرة غير نقية، ولن تفي على الإطلاق بتحقيق مبتغاه الحالي. لقد ابتاع الدكتور چيكل في عمر الثامنة عشرة كمية كبيرة من هذا المنتج من السادة م. الآن يرجو منهم أن يتحلوا بأقصى درجات الإخلاص والاهتمام، وأن يرسلوا له -إذا تبقى أي منتج له ذات الجودة السابقة- على الفور. التكلفة ليست محل نقاش. لا يمكن وصف قدر أهمية الأمر للدكتور چيكل».

كان الخط حتى الآن مهندمًا منتظمًا بشكل واضح، لكن عند تلك الأسطر الأخيرة: «بحق الرب، لتجدوا لي بعضًا من الترياق القديم». انسكبت مشاعر الدكتور المضطربة على الورقة؛ فاهتز الخط بصورة واضحة.

قال السيد إترسون بحدة: هذه رسالة غريبة، كيف فتحتها دون علمه؟

- لم أفعل، السيد التي أُرسِلت له الرسالة استشاط غضبًا يا سيدي، وألقاها في وجهي ناهرًا.

- هل تعلم أن هذا -دون جدال- خط الدكتور چيكل؟

بنبرة باهتة لا تشي بشعور: ظننت ذلك. ثم أردف بصوتٍ مغاير: ولكن ماذا نستفيد من إثبات ذلك؟ لقد رأيته بأم عيني؟

- رأيته؟ مَن هو؟

- فاض بي الكيل! سأخبرك. ذات يوم دلفت على حين غرة إلى الطابق الأرضي، كنت في الحديقة وفكرت أن أطمئن على حال السيد. يبدو أن قراري صادف تسلله إلى أسفل ليبحث عن دوائه، أو أيًّا كان ما يبحث عنه؛ لأنني وجدت باب الغرفة مفتوحًا، ورأيته يقف بعيدًا في طرف قصي من الطابق السفلي، ينقب بين الصناديق. لما شعر بوجودي أشاح بوجهه نحوي، صرخ من فرط المفاجأة، وقفز صاعدًا السلالم إلى غرفته. لم أرَه سوى لدقيقة واحدة، لكنها كانت كافية ليتوقف شعر رأسي مثل القنفذ من فرط الصدمة. سيدي، لو كان هذا الرجل هو السيد الذي خدمته طوال هذه السنوات، فأخبِرني لماذا وضع قناعًا يخفي وجهه؟ لو كان سيدي، لماذا صرخ مرتعدًا كالجرذان وهرب فارًّا مني؟ لقد خدمته لمدة كافية.

صمت الرجل وفرك جبهته بيده في توتر. بادره إترسون: تلك الوقائع التي تقصها غاية في العجب، لكنها -مع ذلك- توحي ببارقة أمل. سيدك -يا بول- من الجلي أنه يعاني من مرضٍ خطير، مرض من الأمراض التي تسبب لصاحبها عذابًا عظيمًا وتشوهًا صارخًا؛ لذلك، في ضوء ما أفترضه الآن، هذا السر وراء تغيرات الصوت، وكذلك الوجه الذي قرر إخفاءه بقناع خشية أن يراه أصدقاؤه، وهذا كذلك يُفسِّر رغبته المُلِّحة في إيجاد هذا الترياق، الذي ربما يُمثِّل له بارقة أمل في شفاء. هذا تفسيري، حزين للغاية يا بول، ولكنه جدير بالوضع في الاعتبار؛ لأنه منطقي وواضح، وتترابط فرضياته، كما يقينا شر الظنون الأخرى كافة.

قال رئيس الخدم وقد تحول وجهه لشحوب واضح: سيد إترسون، هذا الشيء لم يكن سيدي، هذه هي الحقيقة، سيدي...

توقف برهة عن الحديث والتفت حوله ثم بدأ حديثه مجددًا، ولكن تلك المرة بصوت هامس: سيدي رجل فارع الطول، سليم البنيان، أما هذا فكان أشبه بالقزم. كاد إترسون أن يعترض على حديثه، لكن بول استمر: يا سيد إترسون! هل تظن أنني عاجز عن تمييز هيئة سيدي بعد عشرين عامًا؟ هل تظن أنني عاجز عن تمييز طوله الفارع حين يدلف أو يخرج من باب الغرفة، بعدما رأيته يفعل ذلك كل يوم طوال حياتي؟ لا سيدي، هذا الشيء القابع وراء القناع لن يكون أبدًا الدكتور چيكل. الرب وحده يعلم مَن هو، أو ما هو، ولكنه ليس أبدًا الدكتور چيكل، هذا ما أصدقه، ويقيني النابع من كل قلبي أن جريمة قتل قد وقعت هنا.

- يا بول، إذا كان هذا يقينك، فواجبي أن أتأكد منه. بقدر ما أرغب في الحفاظ على مشاعر سيدك، بقدر ما تساورني الشكوك بشأن هذه الورقة التي تثبت أنه على قيد الحياة، أعتقد أن واجبي الآن -لفض النزاع الدائر- أن أقتحم الغرفة.

- آه! هذا كلام صائب يا سيد إترسون!

- هنا يأتي السؤال الثاني، مَن سيُقدِم على هذا الفعل؟

- أنا وأنت يا سيدي. كان رد بول حازم وواثق.

- حسنًا. ومهما كلف الأمر سأتحمل المسئولية؛ لكي لا تُلام على أدنى تصرُّف.

- هناك فأس في الطابق السفلي، سأحملها، ويمكنك أن تحمل سكينًا من سكاكين الطهي العريضة.

حمل المحامي سكينًا حادة ثقيلة وأخذ يزنها بين يدَيه، وقال وهو ينظر إلى بول: هل تعرف يا بول أننا على وشك وضع أنفسنا في خطر داهم؟

- أعرف يا سيدي.

- من الأفضل إذن أن نتحلى بالصراحة، كلانا يفكر في أكثر مما لفظ. دعنا نتحدث بصراحة مطلقة. هذا الكائن المُقنَّع الذي رأيته، هل ميّزت فيه هيئة مألوفة؟

- سيدي، كان اللقاء سريعًا، والكائن هرع على الفور؛ لذا لا يمكنني الجزم بشأن ما رأيت.

كانت تلك إجابته، ثم أضاف: لكن إذا كنت تقصد السيد هايد! فربما، أعتقد أنه كان السيد هايد! كان يشبهه حجمًا، كما كان يتسم بذات السرعة والخفة التي يتسم بها هايد، وعلاوة على ذلك، مَن سوى هايد قادر على أن يدلف عبر باب المعمل؟ هل نسيت يا سيدي، أنه لا يزال يملك المفتاح؟ هذا ليس كل شيء. لا أعرف يا سيد إترسون إن كنت قابلت السيد هايد من قبل؟

- نعم، تحدثت معه ذات يوم.

- إذن بالتأكيد لاحظت مثلنا تمامًا أن هناك شيئًا غير واضح وغريبًا حيال هذا الرجل. شيئًا في هيئة الرجل لا أعرف تحديدًا كيف أصفه يا سيدي، لكنه بشكل ما يصيبك بشعور من القشعريرة والوجل.

- أقِر أنني شعرت بشيء مشابه بما تصف.

- بالتأكيد شعرت يا سيدي. حسنًا، حين قفز هذا المقنع مثل القرود من بين صناديق الأدوية وصعد هرعًا نحو الغرفة، أصابني بشيء يشبه تلك القشعريرة. صدِّقني، أعرف أن هذا ليس دليلًا يا سيد إترسون، أنا رجل مثقف كفاية لأقتنع بقولك، ولكن للمرء مشاعره، وأنا أقسم لك بالكتاب المقدس أن مَن رأيته كان السيد هايد!

- حسنًا! تميل مخاوفي إلى الكفة ذاتها. الشر -كما أخشى- لن يحل إلا من هذا المذكور. أنا حقًّا أصدق مزاعمك. أصدق أن المسكين هاري قد قُتِل، وأعتقد أن قاتله -ودافعه لا يعرفه سوى الرب وحده- لا يزال يرتع في غرفة ضحيته. حسنًا، دعنا ننتقم. استدعِ برادشو.

جاء الخادم الذي اقتصرت مهمته في القصر على استقبال الضيوف والوقوف قريبًا من طاولات الطعام، وقد شحب وجهه وبدا عليه التوتر البالغ. هتف المحامي فيه قائلًا: تمالك نفسك يا برادشو، أعرف أن هذا التوتر يلقي بظلاله عليك، ولكن اهتمامنا الآن منصب على وضع حد له. أنا وبول عازمان على اقتحام غرفة السيد چيكل. لو سارت الأمور كما نشاء، أنا مستعد لأحمل لوم سيدكم كله على عاتقي. لكن الآن خشية أن تسير الأمور بما لا نشتهي، ويتحول الوضع إلى فوضى عارمة، أو إذا حاول أحدهم الهرب من الباب الخلفي، أسألك أنت وصبي الخدم أن تلتفا حول البناية حاملين عصيًّا سميكة، وتتخذا موقعكما أمام باب المعمل. سأمنحك فسحة عشر دقائق من الوقت لتتمركز في مكانك.

بعدما غادر برادشو رمق المحامي ساعته، وقال: الآن يا بول، دعنا نتجه إلى مواقعنا. وتأبط السكين العريضة، واتجه في طريقه نحو الباحة. كانت السحب قد تكاثفت أمام سطح القمر وكست الأرض ظلمة تامة. ترددت أصداء الرياح في غياهب البئر العميقة المجاورة للمبنى، وهبت لتحرك شعلة الشمعة بعنف يمينًا ويسارًا، بينما اتخذ الرجلان طريقهما، فور ما وصلا إلى الطابق السفلي وقفا في صمت منتظرين مرور الدقائق. كانت لندن ترفل في عباءة من الصخب، لكن حولهما تكاثف الصمت، الذي لم يقطعه سوى أصوات أقدام تتحرك في توتر، تذرع سقف الغرفة جيئةً وذهابًا. همس بول معلقًا: هكذا يتحرك هذا الشيء في الغرفة طوال النهار يا سيدي، وثلثَي الليل. ربما يسود الهدوء قليلًا حين أجلب له عينة جديدة من الترياق ليجربها. حسنًا، من العسير على ضمير المجرم أن يستريح! هذه الخطوات تقطر دمًا! مجددًا سيد إترسون أكرر سؤالي، أنصِت بقلبك، هل تلك خطوات الدكتور چيكل؟

كان للأقدام وقع غريب وخفيف، ومن الصوت اتضحت عرجة طفيفة، ربما لذلك كانت خطوات وئيدة متمهلة، على أي حال كانت مختلفة كليًّا عن خطوات هنري چيكل الثقيلة الثابتة. تنهد إترسون، وسأل: هل هناك أي شيء من كل ذلك يشبه هنري؟

- أجل، هناك شيء واحد. لقد سمعته مرة واحدة ينتحب!

- ينتحب؟! كيف؟

قالها المحامي وبدت على وجهه نظرة رعب.

- ينتحب كامرأة أو كروح تائهة. لقد مس نحيبه شغاف قلبي؛ لدرجة أنني لم أستطِع ألّا أبكي.

الآن انتهت الدقائق العشر. أحكم بول قبضته على الفأس، وُضِعت الشمعة على أقرب طاولة لتضيء لهم الطريق، ثم اقترب الرجلان بأنفاس مسروقة وطرقات خطوات الرجل لا تزال تقطع هدوء الليل. صرخ إترسون عاليًا: چيكل. أسألك اللقاء. ثم تمهل للوهلة منتظرًا جوابًا لم يأتِ. فأردف: أحذرك تحذيرًا أخيرًا، شكوكنا تتصاعد؛ لذا يجب أن ألقاك، وسأفعل. لو لم نلتقِ نزولًا لرغبتك، ربما سنلتقي بيد العنف.

جاء صوت الغريب من خلف الباب: إترسون، بحق الرب، لتكن رحيمًا بي!

- آه! هذا ليس صوت چيكل، إنه صوت هايد! اقتحِم الباب يا بول!

رفع بول فأسه إلى الهواء، وهوى بضربة هزت المبنى، بينما الباب الأحمر صمد أمام الضربة. من الغرفة صدر صوت خوار كئيب، كما لو كان خوار حيوان مذعور. مجددًا رفع بول فأسه للهواء وهوى بها على الباب، ثم مرة ثالثة، ثم رابعة، لكن الخشب كان سميكًا صنعه أمهر النجارين؛ لذا لم يتصدع المزلاج ليسقط الباب إلا مع الضربة الخامسة.

أحدث الاقتحام جلبة سرعان ما هدأت حين تمهل الرجلان قليلًا فور ما دلفا إلى الغرفة. كانت الغرفة في حالة عجيبة من الهدوء يعززه ضوء المصباح الخافت، ألسنة نار متوسطة ارتفعت من المدفأة، وصوت تآكُل الخشب المستمر يكسر السكون، هناك في الخزانة وجدا درجًا أو اثنين مفتوحين، وعلى طاولة المكتبة وجدا رزمة أوراق، بالقرب من النار وُضِعت صينية إعداد الشاي، ربما تلك هي أهدأ غرفة قد تراها في حياتك، فقط أقنية الدواء ما تمنعك من اعتبارها غرفة من غرف لندن في أثناء المساء.

في منتصف الغرفة رقدت جثة رجل لا تزال تتلوى وتنتفض. دنا الرجلان على أطراف أصابعهما من الجثة، بروية تفحصوا الوجه الذي كان وجه إدوارد هايد. كان يرتدي ثيابًا تكبره مقاسًا، في الواقع كانت تليق بقياس الدكتور چيكل، وجهه لا يزال يشي بملامح الحياة، لكن بالتأكيد الحياة قد فارقته. وعرف إترسون أنه ينظر إلى جثة منتحر؛ بسبب رائحة الحبوب الكيميائية التي تناثرت في الغرفة والقارورة الصغيرة المكسورة في يد الجثة. قال بوجوم: وصلنا متأخرًا، سواء كان سيُعاقَب أو يُنقَذ. لقد ذهب هايد لمصيره الأخير، دورنا الوحيد المتبقي هو العثور على جثة سيدك.

كان الجزء الأكبر من المبنى تحتله غرفة التشريح، والتي يشغل تقريبًا الطابق الأسفل بأكمله، ولا يضيئه سوى ضوء الغرفة العلوية التي تحتل الطابق بأكمله وتطل على الباحة. هناك طرقة تربط غرفة التشريح بالباب المفضي إلى الشارع

الجانبي، أما الغرفة العلوية فلها سلالم منفصلة تقع بجوار خزانة سوداء وقبو فسيح. عرف الرجلان هذه المعلومات بعدما فحص المنزل جيدًا بحثًا عن الجثة. لم يستغرقا الكثير من البحث في الخزانات؛ ذلك لأن كلها كانت خاوية، وقد وشت طبقات الغبار المتراكمة على أبواب الخزانات بالمدة التي مضت قبل أن يفتحها الرجلان. بالطبع كان القبو يعج بحاويات زجاجية غريبة، أغلبها يعود لزمن الجراح الذي سكن المنزل قبل چيكل، لم يجد الرجلان جدوى من البحث في القبو، حتى حين تمكَّنا من معالجة مزلاجه؛ ذلك بسبب شبكة العنكبوت الضخمة التي أغلقت المدخل، وأكدت لهم أن القبو لم تطأه قدم منذ سنوات. لا وجود لدليل قاطع على مصير هنري چيكل سواء كان حيًّا أو ميتًا.

أخذ بول يمزق الرايات المُعلَّقة في الردهة، قائلًا بصوت ينافي المنطق: من المؤكد أنه دُفِن هنا.

حينها قال إترسون وهو يتجه نحو الباب المفضي للشارع الجانبي: أو ربما هرب.

لكن الباب كان مغلقًا، وبالقرب من الرايات المُعلَّقة وجد المفتوح يكسوه الصدأ. قال المحامي: لا يبدو أن أحدًا استخدم هذا المفتاح.

- استخدم! ألا ترى يا سيدي؟ إنه مكسور. كما لو كان رجل قد قضمه.

- معك حق، حتى الجزء المكسور لا يزال صدئًا.

تبادل الرجلان نظرات فزعة، ثم قال المحامي: هذا أكبر من قدرتي على التفسير يا بول، دعنا نعود إلى الغرفة.

صعدا الدرجات في صمت، ثم ألقيا نظرة خاطفة على الجثة الهامدة وبدأ في فحص محتويات الغرفة بدقة. على أحد الطاولات وجدا آثارًا لمواد كيميائية، كمية من الملح الأبيض موضوعة فوق قطعة مسطحة من الزجاج، كما لو كانت هناك ليفحصها أحدهم. أشار بول: هذا هو الدواء الذي كنت أحضره إليه.. قبل أن يُكمِل قاطعه صوت غلاية الشاي.

التفت الرجلان نحو النار، هناك كان مقعد وثير على ذراعه وُضِعت أغراض الشاي، والسكر وُضِع سلفًا في الكوب. على أحد الأرفف رُصَّت عدة كتب، بينما واحد قد تُرِك مفتوحًا إلى جوار أغراض الشاي، وانتاب إترسون دهشة بالغة حين وجد هذا الكتاب نسخة عن كتاب ديني كان چيكل يعتز به كثيرًا، ولكن الكتاب أُضِيف له العديد من الملاحظات المهرطقة بخط اليد.

ثم، في أثناء جولتهما لفحص الغرفة، وقف الرجلان أمام المرآة البيضاوية، وحملقا فيها برعب غير مفسر. لكنه بطبيعة الحال لم تظهر لهم أكثر من انعكاس الوهج الأحمر، وألسنة النار تتراقص في آلاف الحركات المتغيرة، ووجهاهما المرتعدان الشاحبان ينظران إليها عن كثب. همس بول: هذه المرآة شهدت أحداثًا غريبة يا سيدي.

فأجابه المحامي بنبرة الصوت ذاته: ولكن بلا شك ليست أغرب من هيئتها. ماذا كان چيكل... توقف إترسون قليلًا عند ذكر الاسم، ثم غلب ضعفه وأكمل: ماذا كان غرض چيكل من هذه المرآة الغريبة؟

- معك حق!

استدار الرجلان عائدين إلى طاولة المكتبة. على سطحها، وبين مجموعة من الأوراق الأنيقة، وجدا مظروفًا ضخمًا كُتِب على غلافه بخط يد الدكتور چيكل اسم السيد إترسون. فض المحامي المظروف ليتساقط من داخله على الأرض عدة مظاريف أخرى. كان المظروف الأول يضم وصية، كان فحواها لا يتغير كثيرًا عن فحوى الوصية الأولى التي طلب من السيد إترسون استرجاعها منذ ستة أشهر، وتنص الوصية على التوريث، في حالة الموت، أو وهب الأملاك في حالة الاختفاء، ولكن هذه المرة حل محل اسم إدوارد هايد، اسم آخر أصاب المحامي بدهشة لا تُوصَف وهو يقرؤه: جابريل چون إترسون. تنقلت نظرات إترسون بين وجه بول، والوصية، وأخيرًا الجسد المشوه المُسجَى على السجادة. ثم قال: رأسي مشوش! كان هايد طوال هذه الأيام يرتع في غرفة چيكل، كما أنه لا يملك أي سبب ليُكِن لي الإعجاب، ومع ذلك لم يدمر هذه الورقة.

وضع الوصية والنقط ورقة أخرى، كانت ملاحظة قصيرة مؤرخة كُتِبت أيضًا بخط يد الدكتور چيكل، حين قرأها المحامي صرخ ملتاعًا: رحماك يا رب! يا بول! كان چيكل حيًّا وحاضرًا هنا هذا الصباح. لا يمكن أن يكون قُتِل وأُخفِيت جثته في هذه الفسحة الضيقة من الوقت، بالتأكيد لا يزال حيًّا، بالتأكيد أنه فر هاربًا! ولكن، لِمَ هرب؟ وكيف؟ في هذه الحالة، نحن نغامر إذا أعلنّا عن مقتله! يا ربي الرحيم! يجب أن نتوخى الحذر. ما زلت أعتقد أننا قد نضع سيدك في كارثة خطيرة.

- لِمَ لا تقرأ الملاحظة يا سيدي؟

- لأنني أخاف قراءتها، الرب وحده يعرف أنني غير قادر على قراءتها!

رغم ذلك قرب المحامي الورقة من عينَيه وقرأها بصوت مرتفع، وكانت تنص على التالي:

«عزيزي إترسون، حين تقع تلك الورقة بين يديك، سأكون اختفيت، تحت أي ظرف.. لا أعرف، ولم أستطِع بعد التنبؤ، لكن حاستي، والأحداث كافة التي تحف موقفي -الذي لا يجب ذكره- يخبروني أن النهاية أكيدة، وقريبة؛ لذا فلتذهب، في البداية لقراءة الخطاب الذي كتبه لك لانيون محذرًا مني، وكان على وشك أن يضعه بين يدَيك، وإذا شئت أن تعرف المزيد عن الأمر حينها؛ فلتقرأ الاعتراف الذي تركه لك صديقك التعيس غير الجدير بالحياة.. أنا.. هنري چيكل».

انتهى إترسون من القراءة، وسأل: هل هناك مظروف ثالث؟

- إليك إياه يا سيدي.

مد بول يده بمظروف متوسط الحجم مُغلق من الجهات كافة.

وضع المحامي المظروف في جيبه، وقال: لن أعلق على هذه الورقة. الأمر الأهم أن نفكر في مصلحة سيدك سواء كان هرب أو مات. إنها العاشرة، يجب أن أذهب إلى المنزل لأقرأ رسالة لانيون وهذا المظروف الثالث في هدوء، ولكنني سأعود إليك عند منتصف الليل، حينها يمكننا أن نرسل في طلب الشرطة.

خرج الرجلان، هبطا إلى الطابق الأول، غادرا البناية وأغلقا باب غرفة التشريح خلفهما، وغادر إترسون تاركًا الخدم على حالتهم متجمعين حول المدفأة، يجر قدميه الثقيلتين إلى مكتبه ليقرأ الرسالتين، رسالتان يفسران أخيرًا اللغز الكبير.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رسالة الدكتور لانيون

ليلة التاسع من يناير، أي منذ أربعة أيام من هذه اللحظة، وصلني مع بريد المساء، رسالة مُسجَّلة بعلم الوصول من زميلي، ورفيق الدراسة القديم، هنري چيكل. انتابني العجب الواضح؛ لأننا لم نكن بأي شكل نتبادل عادةً المراسلات، لقد رأيت الرجل، وتناولنا العشاء معًا الليلة الماضية! لذا لا أرى أي داعٍ لهذه الرسميات. أما فحوى الرسالة فزاد من عجبي، وكان كالتالي:

«العاشر من ديسمبر، السادسة مساءً..

العزيز لانيون..

أنت واحد من أقدم أصدقائي، وعلى الرغم من وقوع خلاف بيننا حول أمور علمية؛ فإنني لا أتذكر أبدًا، على الأقل من جهتي، أي شعور بجفوة بيننا. لم يمر يوم واحد لم أكن مستعدًّا أن أضحي بأغلى ما أملك إذا أخبرتني: (چيكل، حياتي، شرفي، سمعتي، كلهم يعتمدون عليك). أضحي بكل شيء فقط لمساعدتك. والآن أخبرك: لانيون، حياتي وشرفي وسمعتي، تحت رحمتك، لو خذلتني الليلة، سينتهي كل شيء. ربما ستتوقع بعد هذه المقدمة أنني سأسألك شيئًا يُخِل بالشرف، ولكن فلتحكم بنفسك.

أرجوك أن تؤجل كل أنشطتك الليلة، حتى لو كان لديك موعد مع إمبراطور، وأن تطلب سيارة أجرة، إلا لو كانت عربتك تنتظرك أمام الباب، وتحمل هذه الرسالة التي في يديك، ولتأتِ فورًا إلى منزلي. لدى بول، رئيس الخدم، أوامر محددة، ستجده ينتظر وصولك وبرفقته رجل يصنع الأقفال. حينها أسألك أن تقتحم باب غرفتي في مبنى غرفة التشريح، ولتدلف بمفردك، افتح الخزانة إلى يسارك، ستجد منقوشًا عليها حرف «E». إذا وجدتها مغلقة اكسرها، ثم أخرِج الدرج الرابع من أعلى بمحتوياته كافة (هو ذاته الدرج الثالث عدًّا من أسفل الأدراج). أرجو ألّا تكون حالتي العقلية المشتتة وأنا أكتب لك الآن، تزودك بمعلومات خطأ، ولكن حتى لو كنت على خطأ، دعني أزودك بمحتويات الدرج لتميز بنفسك أيهم المقصود. ستجد مسحوقًا وقنينة اختبار وكتابًا ورقيًّا. حين تجد هذا الدرج أرجو منك أن تحمله بمحتوياته كافة إلى ميدان كا□نديش حيث منزلك.

تلك هي الخدمة الأولى.. الآن لأخبرك عن الثانية. إذا اتبعت تحديدًا الخطوات التي أخبرتك إياها ستعود إلى منزلك قبل منتصف الليلة بمدة معقولة، ولكني سأترك لك هامشًا كافيًا من الوقت؛ تحسبًا لوقوع بعض العقبات التي يعجز المرء عن تجنبها أو التنبؤ بها، لكن على أي حال، من الأفضل أن تؤدي الجزء الثاني من المهمة في ساعة يكون الخدم قد خلدوا فيها إلى النوم؛ لذا، عند منتصف الليل، أسألك أن تذهب بمفردك إلى غرفة المعيشة، وأن تفتح الباب بنفسك لشخص سيُقدِّم نفسه بصفته أنا، وأسألك أن تمنحه الدرج المذكور الذي أحضرته من منزلي. هنا، سينتهي دورك، وستحظى بعظيم امتناني. بعد خمس دقائق، إذا أصررت على الحصول على تفسير لتلك الحوادث، ستفهم حينها أن تلك الترتيبات كلها لها أهمية كبرى، وإذا أغفلت

واحدة منها -مهما بدت لك تافهة- ربما ستؤنب ضميرك حين أموت، أو الأسوأ تتدمر حياتي.

رغم ثقتي البالغة أنك لن تُسفِّه من هذه المهمة؛ فإن قلبي ينتفض فزعًا، ويداي ترتعشان حين أفكر لوهلة في احتمالية حدوث ذلك. فكِّر فيَّ، في هذه الساعة، أجلس في مكان غريب، والكآبة واليأس يسيطران على حياتي لدرجة لا تسمح بأي محاولات للتخفيف عن نفسي، ثم فكِّر أنك لو أديت تلك الخدمة أفضل تأدية، ستنتهي متاعبي مثل قصص الأساطير. لتُقدِّم لي هذا الصنيع يا لانيون، وأنقِذْ صديقك.

هـ. چـ.

ملاحظة: لقد أغلقت هذا المظروف بالشمع الأحمر، حين صفعني رعب صافٍ وزلزل أفكاري. ربما يخذلني مكتب البريد، ولا تصل الرسالة إلى يدَيك إلا صباح الغد. في هذه الحالة، أيها العزيز لانيون، سننفذ الخطة يوم غد، وسأرسل إليك رسولي عند منتصف ليلة غد، ولكن ربما يكون الأوان قد فات، فإذا مرت الليلة دون أن يصلك رسولي، حينها اعلم -أيها العزيز- أن نهاية هنري چيكل قد حانت».

بعدما انتهيت من قراءة تلك الرسالة تأكد لي أن رفيقي قد أصابه مس من جنون، ولكن حينما كان إثبات ذلك غير متاح، شعرت بضرورة الخضوع لتنفيذ ما يطلبه. كلما عرفت القليل عن سر هذه المهمة، كان حكمي على أهميتها أقل صوابًا، كما لا يمكن تجاهُل الأمر ببساطة دون أن أشعر بمسئولية خطيرة. وعليه نهضت عن منضدتي، واتجهت على الفور إلى منزل چيكل. كان رئيس الخدم في انتظار وصولي؛ لأنه بدوره استلم من ساعي البريد جوابًا موجهًا بعلم الوصول، يحوي تعليمات تخص دوره، وأرسل على الفور في طلب صانع أقفال ونجار. صمتنا لبرهة ننتظر، ثم وصل الرجلان، وتحركنا جميعًا إلى مبنى الدكتور دنمان -سابقًا- للتشريح، حيث تقع (كما تعرف بلا شك) غرفة لچيكل، فُتِحت بأصعب الطرق. كان الباب عتيدًا، والقفل ممتازًا، وأقسم النجار أنه سيعاني لفتحه، حتى لو استخدمنا القوة، أما صانع الأقفال فأسقِط في يده. لكن على أي حال كان النجار صانعًا ماهرًا وتمكن، بعد ساعتين من العمل الدءوب، من فتح الباب. كانت الخزانة المنقوش عليها حرف «E» دون أقفال، وسحبت الدرج المذكور، وعُدت إلى منزلي في ميدان كا□نديش.

في المنزل شرعت أفحص محتويات الدرج. كان المسحوق وفيرًا، لكنه لم يكن مُتقَن الصُّنع؛ لذا استنبطت أنه من صنع چيكل، وحين فتحت إحدى اللفائف التي تضم المسحوق رأيت ما يشبه كريستالات خامًا من الملح الأبيض. أما القنينة، التي التفت أفحصها ثانيًا، امتلأ نصفها تقريبًا بمسحوق أحمر بلون الدم، حين فتحتها تصاعدت منها رائحة حادة يبدو أنها خليط من الفسفور وأثير الفولط. أما المكونات الأخرى للسائل فقد عجزت عن تخمينها. كان الكتاب لا يثير أي شكوك، ولم يُدوَّن فيها سوى سلسلة من التواريخ. هذه التواريخ تمتد لسنوات عديدة، ولكني لاحظت أن التدوينات توقفت منذ عام تقريبًا وبشكل مفاجئ. في بعض التدوينات كانت الصفحة لا تحوي سوى كلمة واحدة: «الضعف» تكررت تقريبًا ست مرات ضمن مئات التدوينات

الأخرى، كما هناك تدوينة في بداية الكتاب أثارت انتباهي: «فشل ذريع!». رغم أن كل ما ذكرته أثار فضولي؛ فإنه أخبرني القليل عما يحدث، القليل غير المفيد. لا أملك سوى قنينة بها سائل كيميائي، عدة لفائف بها مسحوق ربما هو مسحوق الملح، وكتاب يضم تدوينات ربما لاختبارات قد أجراها (مثلها مثل العديد من اختبارات چيكل)، وأفضت إلى نتائج فاشلة. كيف يمكن لتلك الأغراض الحاضرة في منزلي الآن أن تؤثر على شرف رفيقي، أو صحته العقلية، أو حتى حياته؟ وإذا كان رسوله قادرًا على الذهاب إلى أي مكان، لِمَ بالتحديد أرسله إليَّ؟ إذا كان الأمر بدافع الثقة، لِمَ ينبغي عليَّ أن أستقبل هذا الرجل في السر؟ كلما فكرت في الأمر، زاد يقيني أنني أمام حالة اضطراب عقلي يعاني منها رفيقي، ورغم أنني قد صرفت خدمي بالفعل إلى غرفهم؛ فقد زاد داخلي هاجس أنني سأتعرض لهجوم ما، وسأحتاج إليه للدفاع عن نفسي.

بالكاد دقت الساعة معلنة منتصف ليل لندن، حين سمعت دقات خفيفة على باب منزلي. ذهبت بنفسي لأستقبل الزائر، كان رجلًا ضئيل الحجم يتوارى خلف الأعمدة الممتدة من الأرض إلى شرفة الطابق الأول. سألته: هل أنت رسول الدكتور چيكل؟

بنبرة خفيضة مترددة أجابني: أجل. ولم يذعن إلى دعوتي له بالولوج إلا بعدما استرق نظرة سريعة إلى الخلف تحديدًا نحو الميدان المظلم. كان رجل شرطة يقترب من بعيد، له عين ثاقبة كالذئب، وأعتقد أن زائري أسرع بالدخول حين رآه يدنو نحونا.

أعترف أن هذا الحادث وتفاصيله التافهة أربكتني، وبينما رافقته نحو غرفة المعيشة حرصت أن أضع يدَي على سلاحي المشبوك إلى نطاق خصري. في غرفة المعيشة، تسنى لي أخيرًا أن أراه بوضوح. من الأكيد أنني لم أقابل هذا الرجل من قبل. كان ضئيلًا، كما ذكرت، وقد صعقني التعبير الصادم على وجهه، كما المظهر الذي يشي بنشاط عضلي كثيف، والذي لا يتناسب -في الآن نفسه- مع مثل تلك النشاطات، وأخيرًا وليس آخِرًا أدهشني شعوري الغريب المتوتر الذي سببه جواره. واتضح شعوري هذا في تسارع نبضات قلبي واضطرابها الجلي. على أي حال، كان تفسيري لهذا الشعور حينها أنه شعور أحادي بعدم القبول، وألتفت وقتها بعيدًا عن هذا المقت غير المبرر إلى السبب الأكثر نبلًا وراء لقائنا.

هذا الرجل (الذي أصابني مظهره منذ اللحظة الأولى بفضول مقزز لا يمكنني شرحه) كان يرتدي ثيابًا قد تجعل منه مصدر سخرية للجميع، ملابسه، إذا كان من الممكن وصفها بالملابس، على الرغم من خامتها الباهظة؛ فإنها بدت أكبر بكثير من حجمه، كبيرة بدرجة لا يمكن إغفالها. البنطال على سبيل المثال تدلى ليغطي قدمَيه، بل وجزءًا منه تُرِك ليجر قاذورات الطريق، أكتاف المعطف غطت تقريبًا جزءًا من الكوع، بينما الياقة كانت تغطي الكتفين. على الرغم من الوصف المضحك؛ فإنه لم يُثِر -لغرابة الأمر- أي شعور بالضحك في نفسي. على العكس، شعور أن مظهره يشي بشيء غير عادي ومنافٍ للطبيعة، يتأصل في جذور هذا المخلوق الذي ينظر لي نظرات مفاجئة ومثيرة لشعور غير مفهوم، شعرت أن مظهره البائس يلقي بقوة

غير مفهومة على نفسه وشخصيته وطبيعته؛ مما زاد من فضولي أضعافًا لأعرف أصل هذا المخلوق، وحياته، ومكانته ومحله من هذا العالم.

رغم أنني سردت لك تلك الملاحظات في مساحة كبيرة من الورق؛ فإنها في الواقع لم تستغرق أكثر من لحظات معدودة؛ حيث كان زائري يتقد حماسًا، فسأل بنبرة شبه صائحة: هل حصلت عليه؟

قبل أن أنبس بكلمة كرر سؤاله، بطريقة تشي بنفاد صبره للحصول على ما أملك أيًّا كان ما هو، لدرجة أنه ضغط على يدي وهزها بين يديه.

جذبت راحتي بعدما سَرت فيها -إثر لمسته- لمسة برد غير مفسرة، وقلت: اتبعني أيها السيد، لا تنسَ أنني لم أحظَ بعد بشرف التعرف إليك، أرجوك أن تجلس.

وجلست أنا بدوري على مقعدي المفضل، محاولًا ادعاء أقصى درجات الهدوء والصبر في هذه الساعة المتأخرة، ونافضًا عن أفكاري القلق المشروع والرعب غير المفسر من زائري، والذي بدأ يتملك مني كليًّا.

قال زائري بتحضر واضح: أستميحك عذرًا يا دكتور لانيون، أتفق معك فيما تقول، وأعتقد أن نفاد صبري طغى على تهذبي. لقد جئت إليك من طرف رفيقك، الدكتور هنري چيكل؛ لأسديه خدمة بعينها، وأتفهم...

صمت لبرهة، وضع يده على حنجرته، وتراءى لي أنه، بالرغم من سلوكه المهذب، على وشك أن يُصاب بنوبة هيستيرية، لكنه تمالك نفسه، وأردف: أتفهم أن هناك درجًا...

حين توقف مجددًا، انتابتني الشفقة حيال زائري، وحماسه الشديد، وربما قليل من الشفقة على حالة فضولي المتصاعدة، فقلت وأنا أشير للدرج الموضوع على الأرض إلى جوار طاولة ومغطًّى بقطعة من القماش: ها هو يا سيدي.

انتفض الرجل هرعًا نحوه، ثم توقف للحظة، وضع يده على أيسر صدره، كدت حينها أسمع اصطكاك أسنانه داخل فيه، وكان وجهه يعترف بإدراكه لقلقي على حياته، وكذلك قلقي من صحته العقلية.

بادرت قائلًا: استرِح يا سيدي.

نظر إليَّ بابتسامة كريهة، ونزع غطاء الدرج. حين رأى محتوياته ندت عنه زفرة طويلة تشي بارتياحه البالغ، وأصابتني بهلع حقيقي. مرت دقيقة دون أحداث، ثم سألني بصوت رزين: هل تملك زجاجة قياس متدرج؟

بصعوبة نهضت من مجلسي وقدمت له ما سأل. شكرني بابتسامة وإيماءة من رأسه، وضع في الزجاجة منسوبًا محددًا من السائل، ثم أضاف قليلًا من المسحوق. بدأ الخليط، الذي استحال لدرجة من درجات الأحمر، يتفاعل فور ما ذابت كريستالات المسحوق، وتحول إلى حمرة ساطعة، كما صدرت عنه فرقعات خفيضة، وتصاعد منه قليل من الدخان والبخار. ثم في اللحظة التالية انتهى التفاعل وتحول السائل إلى درجة قاتمة من البنفسجي، رويدًا ما تحولت إلى أخضر ذات

درجة تشبه خضرة الماء الراكد. ابتسم زائري، الذي تابع التفاعل بعين متنبهة، وضع القنينة على الطاولة، ثم استدار نحوي ونظر لي نظرة مدققة، قائلًا: والآن، لفض هذا الغموض؛ هل يمكنك أن تتحلى بالحكمة؟ هل يمكنك أن تسمح لي بإرشادك؟ أو ستدفعني لحمل هذه القنينة ومغادرة منزلك دون المزيد من التأخير؟ أو الحاجة الماسة للمعرفة أصبحت لها اليد العليا؟ فكِّرْ قبل أن تجيبني؛ لأنني سأفعل ما تقرره. في يدك القرار، إما أغادر دون أن تعرف أي شيء، أو أغادر بعدما تحظى بمعرفة أمر خطير. إما أن تكون رجلًا أسدى صنيعًا لصديقه، أو تفضل أن تختار معرفة خبر جديد عن العلم، وطريقة حديثة للشهرة والسلطة، ربما طريق قد تدلفه أنت باختيارك، هنا في هذه الغرفة، والآن في تلك الدقيقة تحديدًا، حينها ستشهد معجزة لا يصدقها الشيطان ذاته.

قلت مدعيًا هدوءًا كان بعيدًا الآن كل البُعد عن حالتي: أيها السيد، أنت تلقي ألغازًا، وربما لن تتعجب إذا أخبرتك أنني أستمع لك دون أدنى شعور بالتأثر، ولكنني ذهبت بعيدًا في تأدية هذا الواجب غير المفهوم، ولا يمكنني الآن أن أتوقف قبل الوصول إلى الحقيقة.

- حسنًا، هل تتذكر قسمك المهني يا لانيون؟ ما سيحدث الآن يخضع لقسم المهنة. والآن، أنت الذي تحلى بأقصى درجات الالتزام بالحقائق والابتعاد عن الفرضيات، أنت الذي أنكر فضيلة المعجزات الطبية، أنت الذي ازدرى رؤساءه، عليك أن تشاهد!

حينها رفع الرجل القنينة إلى فمه وتجرعها دفعة واحدة، ندت عنه صرخة فور انتهى من شرابه، تلوى، ترنح، تشبث بالطاولة، حملق بأعين جاحظة، لهث من فمه المفتوح بصعوبة، وظننت أنني أرى وجهه يتغير، يتحول لسواد واضح، وملامحه كما لو كانت تنصهر وتتبدل، وفي اللحظة التالية، قفزت من مقعدي واستندت إلى الحائط، رفعت ذراعي لأشكل ما يشبه درعًا بشريًا يقيني هذه المعجزة الشيطانية، وغزا الرعب عقلي. صرخت: يا ربي الرحيم! يا ربي الرحيم! كررتها مرارًا؛ لأن أمام عيني تجسد هنري چيكل، شاحبًا، يرتعد، وفي حالة أقرب للإغماء كرجل عائد من الموت.

ما أخبرني إياه في الساعة التالي كان من العسير عليَّ أن أكتبه على الورق. رأيت ما رأيته، سمعت ما سمعت، وأثقلت الأحداث روحي، والآن بعدما تلاشى المشهد من مخيلتي، أُسائِل نفسي إذا كنت أصدق، وأصبحت أشعر أنني لا يمكنني الجزم بما أصدق. اهتزت حياتي وانقلبت رأسًا على عقب، هجرني النوم، أصابني خوف، بل رعب عتي طوال ساعات النهار وأطراف الليل، وشعرت أن أيامي صارت معدودة، وأنه حان الوقت الملائم لموتي، ومع ذلك سأموت على حالتي المرتابة. أما عما كشفه لي الرجل، بدموع الحسرة، لا يمكنني، حتى في ذاكرتي، أن أعرج إليه دون أن يصيبني الهلع. لن أذكر إلا جملة واحدة يا إترسون، (إذا استطاع عقلًا تصديقها) سيكون ذلك كافيًا. كان الكائن الذي دلف إلى منزلي هذه الليل، هو، وباعتراف چيكل، المعروف باسم هايد، والعدالة تبحث عنه في شتى البقاع بتهمة قتل كارو.

هاستي لانيون

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الاعتراف الكامل لهنري چيكل

وُلِدت في العام (...) لأسرة فاحشة الثراء، وُهِبت ثروة طائلة، وكان لي ميل خاص بالصناعة، احترمني رفاقي لحكمتي وحُسْن خُلُقي، وبالتالي، كما يمكن التوقع، كان لي الضمانات كافة التي تُبشِّر بمستقبل مميز. لكن أسوأ خطاياي كان عدم تقديري لما أملك، ما ملكته كان مصدر سعادة لغيري، لكن لي كان يدفعني للشعور بالخزي والخجل؛ لذا أخفيت مباهجي، وفكرت لسنوات وسنوات حيال الأمر، وأخذت أبحث حولي وأنبش في الحياة، حتى أضحيتُ أشعر بازدواجية واضحة. الكثير غيري أمكنهم ملاحظة تلك الاختلافات السافرة التي تميزتُ بها، لكنني خجلت من نفسي. كانت طبيعتي الطموحة، من بين أخطائي كافة، هي تحديدًا ما جعلتني مَن أنا عليه الآن، كما عانيت، أكثر من البشر كافة، من التشتت بين وسواسي وسجيتي الطيبة، الشقان اللذان شكَّلا واجهة حياتي. وهكذا شرعت أفكر بعمق في قانون الحياة الشاق المتأصل في جذور الدين ويمثل واحدًا من منابع المحنة البشرية والشقاء للإنسان. رغم ازدواجيتي الحادة، فإن طبيعتي لم تكن سوى ما يمكن تلقيبه بالنفاق، فكلا الجانبين كانا في حالة تنافس مستمر، لم أكن أمثل نفسي حين أنزوي وأعكف على ضبط نفسي والاعتراف بالخزي والعار،

ولم أكن أمثل نفسي وأنا، ربما في اليوم نفسه، أعزز معرفتي وعلمي، أو أخفف وأهون على نفسي الحزن والمعاناة. وتقاطعت دراساتي العلمية التي تنصَب كليًّا على المجهول والغامض، مع الحرب الدائمة بين نصفيَّ. بمرور كل يوم، وبالنظر لجانبي من الذكاء، العلمي والأخلاقي، اقتربت بثبات نحو الحقيقة، والتي باكتشافها جزئيًّا شعرت بانهيار مخيف: أن الإنسان لا يملك شخصية واحدة، بل في الحقيقة يعيش داخله شخصيتان. وأقول «شخصيتان»؛ لأن معرفتي الحالية مقصورة لا تُسعِفني لأدعي وجود المزيد من الشخوص داخل نفس الإنسان. من جانبي، وبالنظر لطبيعة حياتي، دنوت معصومًا من الخطأ في اتجاه واحد، واحد فقط. بفضل جانبي الأخلاقي، وطبيعة شخصيتي، ميّزت الطبيعة الازدواجية البدائية للإنسان، وتراءى لي، من بين الطابعين المتصارعين في عقلي الواعي، حتى لو كان بمقدوري أن أدعي كوني واحدًا من الاثنين، فذلك بلا شك لأني أمثل الاثنين، ومن وقت مبكر، ربما حتى قبل بداية اكتشافاتي العلمية بدأت أُرجِّح احتمالية حدوث معجزة كتلك، وأخذت أفكر بسرور، كما التفكير في حلم يقظة جميل، في إمكانية فصل تلك الشخصيتين. همست لذاتي، إذا تمكنّا من فصل صفات كل شخصية في كيان منفصل، يمكن أن نقي الحياة من كل مآسيها، سيذهب الظالم لطريقه، مبتعدًا عن طموحات وآمال توءمه العادل، أما العادل فيمكنه أن يسير بخطًا ثابتة وآمنة في طريقه الصادق، يمارس الخير الذي يجد في ممارسته سعادته، ولا يتعرض لمزيد من المنغصات والمشتتات التي يمارسها عليه توءمه الشيطاني. إنها لعنة البشرية التي ألصقت النقيضين وجمعتهما في الإنسان، في غياهب الوعي يتصارع كلاهما باستمرارية لا تنقطع. كيف إذن يُمكِننا فصلهما؟

كنتُ منغمسًا إلى أخمص إصبعي في أفكاري تلك حين -كما قُلت- بدا بصيص أمل يلمعِ بخصوص تلك المسألة ساطعًا من طاولة المعمل. بدأت أفكر بعمق أكبر فيما لم

يُكتشف بعد، في الحقائق غير المادية المتأرجحة، والروح الشبيهة بالضباب التي يبدو أنها ترتبط كليًّا مع جسدنا الصلب. بعض المعطيات بدأت تُزعزِع عزيمتي؛ كما تحرك الرياح ستائر النافذة. لسببين وجيهين لن أتعمق في هذا الجزء العلمي من حديثي؛ الأول: لأنني تعلمت أن أعباء حياتنا لا بد أن نحملها على عاتقنا، فإذا حاول المرء التخلص منها ستعود بإلحاح أسوأ وضغط لا يُطاق. الثاني: لأن، وكما سيوضح سردي فإن جُل اكتشافاتي كانت ناقصة؛ لذا يكفي القول إنني لم أميز فقط الفرق بين جسدي وهالته الروحية، وتضافُر عدة مقومات لتشكيل الروح، ولكني تمكنت أيضًا من اختراع عقار بواسطته يمكن انتزاع تلك القوى الروحية، ليتشكل جسد آخر ووجه آخر يمثلها.

ترددت طويلًا قبل أن أضع تلك التجربة محل اختبار. علمت علم اليقين أنني أخاطر بحياتي؛ لأن أي عقار يمس الهوية ويزعزعها، من المحتمل، إذا زادت الجرعة أدنى زيادة أو لم يُتقَن خلط المكونات، أن يقلب هوية هذا الجسد رأسًا على عقب، الهوية التي تطلعت لتغييرها. ولكن الرغبة في الاكتشاف كانت أكثر قوة وتفرد لتطغى في النهاية على الاحتمالات المقلقة كافة. كنتُ بالفعل قد خططت طويلًا لإعداد العقار، وابتعت على الفور، من شركة يملكها عدة صيادلة، كمية كبيرة من ملح، ملح خاص كنت أعرف، استنادًا على اختباراتي، أنه المكون الأخير في التركيبة. وفي ذات ليلة ملعونة، خلطت العناصر كلها، شاهدتها تتفاعل، ويتصاعد الدخان من زجاجة الاختبار، وحين انتهت عملية التفاعل، وبجرعة شجاعة مضاعفة، شربت الجرعة بأكلها.

لحق بتلك اللحظة، لحظات عصيبة: شعرت بعظامي تتكسر، وبدوار قاتل، ورعب اجتاح روحي لا يمكن أن يغزو المرء سوى لحظة الولادة أو الوفاة. ثم تراجعت تلك الآلام رويدًا، وعُدت إلى نفسي في حالة سقم بالغة. أحسستُ بشعور غريب ينتاب حواسي، شعور جديد تمامًا، وبفضل حداثته، انتابني شعور لذيذ. شعرتُ أنني أصغر سنًّا، وأخف وزنًا، في داخلي نما شعور بلا مبالاةٍ واضحةٍ، في مخيلتي تحركت عدة صور غير مرتبة كما الطاحونة، شعرتُ بتحررٍ جزئي من القيود، كيف؟ لا أعرف، ولكنها لم تكن حرية بريئة أو جيدة للنفس. عرفتُ أنني، منذ النفس الأول في هذه الحياة الجديدة، سأكون أكثر سوءًا، بل أضعاف ما كنت عليه من سوء، لقد بعثتُ روحي للشيطان، وبدت الفكرة، لوهلة، مثيرة ولذيذة كما النبيذ. فردت يدَي، أتحسس نضارة مشاعري الجديدة، حينها أدركت أنني خسرت شيئًا من مظهري.

في هذا الوقت، لم تكن هناك تلك المرآة الموضوعة الآن في غرفتي بينما أكتب تلك الكلمات، لقد أحضرتها لاحقًا وخصيصًا لغرض متابعة هذه التغييرات. على أي حال، بدد النهار ظلمة الليل، ربما كان نهارًا قاتمًا، بالكاد شق أستار الليل، كان سكان منزلي من الخدم يخلدون في سبات عميق، وقررتُ، مدفوعًا بالأمل والانتصار، أن أغامر بالعودة إلى غرفة نومي في هيئتي الجديدة. عبرت الباحة، وقد أطلت عليَّ حِزم من النجوم، فكرتُ، بعجب، ترَى مَن يحرسها؟! تسللتُ عبر

الطرقات؛ كأني غريب في منزلي، وحين وصلت إلى الغرفة، رأيت للمرة الأولى وجه إدوارد هايد.

هنا يجب أن أتحدث عن النظرية، والنظرية وحدها، لا أقول ما أعرفه، بل أقول ما أعتقد أنه الاحتمال الأرجح. الجانب السيئ من شخصيتي، الذي عبرتُ إليه للتو، كان أقل نموًّا وتطورًا من جانبي الجيد الذي هجرته لتوي. مجددًا، في خضم حياتي، التي كانت -رغم كل شيء- حياة مليئة بالجهد والفضيلة والتحكم، كان جانبي السيئ أقل سطوعًا وأيضًا أقل إرهاقًا؛ لذلك، على ما أعتقد، هذا هو السبب أن إدوارد هايد له جسد أكثر ضآلة من جسدي، وأخف، بل وأكثر شبابًا من هنري چيكل. رغم أن الخير قد سطع على وجه واحد؛ فإن الشر تبدى ساطعًا وواضحًا على وجه الآخر. كما ترك الشر (الذي أعتقد حتى الآن أنه أكثر الجوانب القاتلة في نفس البشر) لمحة من التشوه والاضمحلال على ذاك الجسد. ولكن حين نظرتُ لهذا الجسد القبيح في المرآة، لم أشعر بشيء من الكره، بل بلمحة من الترحيب؛ فهذا، أيضًا، هو أنا. بدا طبيعيًّا وإنسانيًّا. عيناي وشت بنظرة أكثر حيوية، أكثر تعبيرًا وشفافية، ربما أكثر من الملامح التي اسميتها ملامحي منذ يوم ميلادي وحتى تلك اللحظة. وكنتُ إلى حد ما محقًّا بلا شك. لاحظت أنني حين أتحول إلى إدوارد هايد لا يقترب مني أحد دون أن يُعبِّر وجهه عن تقزز حقيقي. كان ذلك، في وجهة نظري؛ لأن كل البشر، حين نقابلهم، لهما شقان، الجيد والسيئ، لكن إدوارد هايد، هو الوحيد من بين كل البشر الذي يمثل الشر الخالص.

مكثتُ لدقيقة لا أكثر أمام المرآة، ثم فكرتُ في التجربة الجديدة التي عليَّ بدؤها، لم يتبقَّ سوى أن أتأكد ما إذا كنتُ قد خسرت هويتي بسبب هذا التحول، كما يتعين عليَّ الهرب قبل سطوع النهار من هذا المنزل الذي لم يعد منزلي، هرعتُ إلى مبنى التشريح، أعددت جرعة أخرى، شربتها، عانيتُ مجددًا من آلام مبرحة، وعدت مجددًا إلى شخصيتي، جسد هنري چيكل ووجهه.

في هذه الليلة وصلت إلى مفترق طرق جذري. هل اقتربت باكتشافي من روحي النبيلة؟ هل جازفتِ بتجربتي بينما أسكرتني طموحاتي النقية؟ ربما كان الأمر كذلك، وبعد تلك الآلام المميتة عُدت مجددًا إلى جسدي الملائكي. لم يكن للعقار تأثير يُذكَر؛ أي أنه لم يسبب لي اضطرابًا ثنائي القطب، أو كان ذا سلطة، ولكنه طرق بعنف أبواب يقيني، ما كان محبوسًا في الداخل اندفع هاربًا. في هذا الوقت كانت فضيلتي طاغية، بينما شيطاني لم يخذله الطموح، كان متنبهًا، وجاهزًا ليقتنص الفرصة المناسبة، بالطبع ذاك الشيطان هو إدوارد هايد. الآن، وعلى الرغم من أنني انقسمتُ لشخصيتين، ولكل شخصية وجه، واحدة كانت الشر بعينه، وبينما الثانية كانت هنري چيكل الأثير، أصبح هناك تناقض بالغ بين الشخصيتين. وبدأ الأمر يتحول تدريجيًّا إلى الأسوأ.

حتى في هذا الوقت، لم أستطِع التغلب على رغبتي المُلّحة في الدراسة. حافظتُ على طريقتي المُبهجة أحيانًا، ولما كانت مباهجي (لنقُل معظمها) غير حميدة، ولم أكن معروفًا أو مُحترمًا، بل أصبحتُ رجلًا طاعنًا في السن. أصبح هذا الاضطراب في هويتي يزداد عبئًا يومًا بعد يوم. وهكذا تعاظمت قواي حتى سقطتُ عبدًا لها. هي

شربة من العقار لأهجر جسد البروفيسور، وأرفل في عباءة ثقيلة هي جسد إدوارد هايد. بدا لي الأمر حينها مسليًا، وكنت أتخذ أعظم درجات الحرص في استعداداتي. ابتعت هذا المنزل في سوهو وأثثتُ المنزل الذي وصل إليه الشرطة في محاولة لتتبُّع هايد، وعينتُ له مدبرة منزل، امرأة أعرف جيدًا أنها كثيرة الصمت. على الجانب الآخر، أعلمتُ خدمي أن رجلًا بعينه يُدعَى إدوارد هايد (وقدمت لهم أوصافه) سيحظى بحرية كاملة في استخدام مبنى التشريح. تاليًا كتبتُ هذه الوصية، التي قابلتها باعتراضك؛ لأضمن إمكانية الوصول لأملاكي كإدوارد هايد إذا حدث أي مكروه للبروفيسور چيكل. وهكذا، كما توقعت، حصنت شخصيتي، وبدأت أستغل منافع كليهما.

اعتاد الرجال استئجار المجرمين لينفذوا الجرائم عوضًا عنهم، بينما يحتفظ الرجل بسمعته في منأى. أما أنا كنت أول مَن مارس الجريمة لمتعته الخاصة. كنتُ الوحيد القادر على الاعتزاز بنظرة الناس المقدرة لشخصي، وفي اللحظة التالية، كما فتيان المدرسة، أقفز إلى بحر الحرية. وفي الحالتين ضمنت لذاتي الأمان الكامل. فكِّرْ في الأمر، لم يكن لي وجود مثبت! اسمح لي أن أدلف إلى باب المعمل، امنحني ثانية أو ثانيتين لأخلط العقار وأتجرعه، ثم، أيًّا كان ما فعله إدوارد هايد، سيتبخر كما الدخان أمام المرآة. ويحل محله، رجل من المستحيل أن يثير الشكوك، يقضي ليلته الهادئة بجوار مصباح يضيء مكتبه، هو هنري چيكل.

لكن المباهج التي طفقتُ أنهل منها في تنكري، كما سبق وذكرت، كانت غير لائقة، بالكاد يمكن أن أصفها وسمًا آخر. ثم تحولت في يد إدوارد هايد لتصرفات وحشية. حين كنت أعود إلى هنري چيكل كان ينتابني شيء من العجب بشأن فساد هايد الموحش. هذا المخلوق، الذي استدعيته من روحي، وأوجدتُ له كيانًا منفصلًا، كان مخلوقًا ورث الشر والشراسة الخالصين، تمحورت كل أفكاره وأفعاله عن ذاته، كان يستمتع رغم بشاعة ما يفعله، دون أي درجة من لوم الذات، لا يبالي كما لو أن قلبه من حجر. أحيانًا ما وقف هنري چيكل في وجه إدوارد هايد، ولكن الأمر بات بعيدًا عن قوانين الطبيعية، وبمرور الوقت خفت صوت الضمير.

ليس لديَّ أي نية لأسبر أغوار تفاصيل تُشعِرني بالعار (ولست على يقين حتى الآن ما إذا كان قد اقترفها)، ما يهمني هو الإشارة إلى التحذيرات والإشارات المتتالية التي قادتني إلى هنا. ثمة حادثة صادفتني، ولأنها لم تفضِ إلى نتيجة تُذكَر، سأكتفي بذكرها فقط. لقد أثار تصرف قاسٍ فعلته نحو طفلة حفيظة واحد من المارة، الذي أدركت في اليوم التالي أنه أحد أقاربك، وانضم إليه طبيب وأسرة الطفلة، لوهلة خشيت على سلامتي، وفي النهاية، ولمحاولة تهدئة الأوضاع، اضطر إدوارد هايد أن يحضرهما إلى باب معمل التشريح، ويدفع لهم شيكًا نقديًّا ممهورًا باسم هنري چيكل. ولكنني تفاديت هذه المخاطرة فيما بعد حين فتحت حسابًا بنكيًّا آخر باسم إدوارد هايد، واستطعت أن أغير خطي بصورة كاملة لأمنح قريني توقيعًا جديدًا، ظننت بذلك أنني هزمت القدر.

قبل شهرين تقريبًا من مقتل السير داندرس، انطلقت في واحدة من مغامراتي، وعُدت في ساعة متأخرة، ثم استيقظت اليوم التالي في السرير تخالجني مشاعر

غريبة. لم يجدِ أن أنظر حولي، أو أرمق الأثاث الأنيق لغرفتي في منزل الميدان، لم يكفِ أن أميز شكل غطاء السرير، أو خشبه الماهوجني الفاخر، ما أنفك يُلِّح شيء بعينه داخلي أنني لست أينما أنا، وأنني لم أستيقظ حيث يبدو أنني استيقظت، بل إنني في غرفة سوهو الصغيرة حيث اعتدت النوم في جسد إدوارد هايد. ابتسمت لنفسي، وعلى غرار علماء النفس، طفقت أتساءل بشأن هذه الضلالات، التي، أحيانًا، تزور صباحاتي الهادئة. كنت منهمكًا في التفكير -في لحظة أكثر وعيًا- حين تنامى نظري إلى يدي. الآن (كما لاحظتَ بلا شك) يد هنري چيكل متناسقة الحجم والشكل، ضخمة، حازمة، بيضاء، ومريحة للنظارين. ولكن اليد التي رأيتها للتو، بوضوح بالغ في ضوء منتصف النهار اللندني، مسترخية على غطاء المضجع، كانت نحيفة، هزيلة، بارزة العظام، ويكسوها طبقة واضحة من الشعر. كانت يد إدوارد هايد.

بالتأكيد حملقت بها لنصف دقيقة على الأقل، وغرقت في بلاهة تامة، قبل أن ينتفض الذعر في صدري مفاجئًا وضاربًا كما دقات الطبول، وقفزت من مضجعي هرعًا إلى المرأة. تجمد الدم في جسدي حين رأيت ما رأيت في المرآة. أجل، ذهبت إلى النوم وأنا هنري چيكل، واستيقظت وأنا إدوارد هايد. كيف يمكن تفسير ذلك؟ سألت نفسي، ثم لطمني الذعر مجددًا، كيف يمكن أن أشفَى من ذلك؟ كنا في بداية النهار، الخدم بأكملهم استيقظوا، العقار قابع في غرفة المبنى الأخرى، أمامي رحلة طويلة عبر السلالم، ثم الممر الخلفي، عبورًا إلى الساحة ثم غرفة التشريح، رحلة طويلة تفصلني عن العقارات بينما أقبع أنا هنا فريسة الرعب. من الممكن أن أخف وجهي، ولكن دون جدوى؛ حيث كيف يمكنني أن أخفي التغييرات في بنيتي الجسدية؟ ثم زارتني خاطرة هدَّأت من ذعري: الخدم بالفعل معتادون على وجود إدوارد هايد. سرعان ما استبدلت ملابسي بملابسٍ تليق بحجمي، قدر الاستطاعة، هبط إلى بهو المنزل حيث التقاني برادشو محملقًا في دهشة للقاء السيد هايد في هذه الساعة المبكرة، وفي هذا الزي الغريب، ثم بعد مُضيّ عشر دقائق، عاد الدكتور چيكل إلى هيئته يجلس مقطب الجبين ليتناول وجبة إفطاره.

فقدت شهيتي دون شك. هذا الحادث غير المفسر، والانقلاب المفاجئ في تجربتي، كانا بمثابة إصبع إنذار يخبرني أن يومِ حسابي يدنو، بدأت أفكر بجدية أكثر من قبل بشأن احتمالات المصائب التي قد أُبتلَى بها بسبب هذا الكيان المزدوج. هذا الجزء من نفسي الذي كنت أملك السطوة على إظهاره وإخفائه، أصبح مؤخرًا أكثر تمكنًا بل وفي حال أفضل، حيث بدا لي مؤخرًا أيضًا أن جسم إدوارد هايد أخذ ينمو، وبدأ يساورني الشك أنني لو تركت الأمر يتزايد، ربما يضيع توازُني بلا رجعة، وربما تتعاظم قوة التغيير طواعيةً دون عقار، وهكذا تصبح شخصية إدوارد هايد، شخصيتي الوحيدة. لم تكن فعالية اللقاح ناجعة دومًا. لقد خذلتني من قبل في بداية تجاربي، ومذّاك أصبحت مجبرًا في أكثر من مناسبة على مضاعفة اللقاح، بل في مناسبة واحدة، عرَّضت فيها حياتي لمخاطرة كبيرة، لتناوُل ثلاثة أمثال الجرعة، وهكذا ألقت الشكوك ظلالها منذ هذا الحين على راحتي وسلامي. مع ذلك، وفي ضوء هذه الحادثة، لاحظت أمرًا، في البداية كانت الصعوبة تكمن في التخلص من جسد چيكل، لكن الأمر مؤخرًا أصبح يتحول إلى رغبة الجسد طواعيةً في الانتقال

للرجل الآخر. كل الأشياء أصبحت تشير إلى ذلك: أنني تدريجيًّا أفقد زمام سيطرتي على نفسي الأصيلة الأفضل، وأتحول تدريجيًّا إلى نفسي الدخيلة الأسوأ.

أحسست أنه حان وقت اختيار واحد منهما. كلاهما يتشاركان جزءًا من الذاكرة، ولكن السمات الأخرى كافة غير متعادلة بينهما. چيكل، الشخصية المركبة، أسهم واستمتع بمغامرات هايد، ولكن هايد على عكس چيكل، أو لنقُل إنه يذكره كما يذكر الجبل قاطع طريق يحتمي في كهوفه. إذا قررت اختيار چيكل يعني ذلك أنني سأخسر متعي الصغيرة السرية التي استمتعت بها ومؤخرًا أصبحت أشتهيها. وإذا اخترت شخصية هايد، فهذا يعني موت آلاف الآمال والطموحات، وأن أصبح، وللأبد، مُحتقَرًا ودون صحبة. ربما تبدو المعادلة غير متوازنة، ولكن لا يزال هناك اعتبار آخر يجب النظر إليه. بينما چيكل سيعاني من الزهد، هايد لن يعرف أصلًا بما خسره. ولغرابة الأمر، تمامًا مثل عجب موقفي، كان هذا النقاش قديمًا وشائعًا منذ بدء الخليقة، الكثير من الإغراءات نفسها والتحذيرات نفسها تساور نفس أي مذنب مضطرب، وقد قررت، كما يقرر الغالبية من بني البشر، أن أختار الجانب الأفضل، ووجدت في نفسي الرغبة في الاحتفاظ به.

أجل، لقد فضلت الدكتور العجوز التعيس المحاط بأصدقائه وآماله السامية، ونظرت نظرة وداع للحرية، والشباب المطلق، والخطوات الخفيفة، والنبضات المتراقصة، والمباهج الخفية، وكلٍ ما أستمتع به في جسد هايد. ربما اتخذت هذا القرار بقليل من التحفظ؛ لأنني لم أتخلَّ عن منزلي في سوهو، ولم أدمر ملابس إدوارد هايد التي لا تزال مستقرة في خزانة غرفة المبنى الملحق. مع ذلك، ولمدة شهرين، كنت مخلصًا لقراري، لمدة شهرين قضيت حياة زاهدة واستمتعت بما قدَّمه لي ضميري من تعويضات، ولكن بمرور الوقت خفتت مخاوفي، تحولت أصوات الضمير، أخذت أعاني من الشوق المضني، كما لو كان هايد يكافح ليقتنص حريته، وفي النهاية، وفي ساعة ضعف واضحة، خضعت مجددًا وابتلعت العقار.

لا أعتقد أن السكير يحاول إقناع نفسه بخطيئته، إنه فقط يندفع نحو التجربة الخطيرة منتشيًا بما تمنحه له، وكذلك كنت أنا، سمحت لنفسي بخفض صوت الضمير، وشعرت باستعداد كامل للشر، وهما سمتان أساسيتان في شخصية إدوارد هايد. مع ذلك، كان ذلك عقابي. كان الوحش قابعًا لوقت طويل، الآن كشر عن أنيابه. كنت مدركًا أنني أواجه شيئًا أكثر جموحًا من ذي قبل. أفترض هذا ما حرك داخلي عاصفة من القنوط حين انهلت ضربًا على ضحيتي التعيسة، أعترف -على الأقل أمام الرب- أنه ما من رجل عاقل يتمتع بأخلاقيات حسنة أن يرتكب جريمة كتلك بسبب دافع أهوج كهذا، وأنني سددت صفعاتي بروح هوجاء كما يفعل الطفل الأحمق بلعبته. لكنني قد تجردت طواعيةً من الغرائز المتوازنة التي يتمتع بها حتى أسوأ الناس، وتساعدهم على السير بقدر من الثبات أمام المغريات، لكن في حالتي كان أتفه إغراء كفيل بسقوطي.

انتفضت روح جهنمية داخلي على الفور. وبمسحة من السعادة ودون أي تحفُّظ نهشت الجسد المستسلم مستمتعًا بكل ضربة، ولم يصفعني الرعب البارد إلا حين ساورني التعب وأحسست بالذعر في خضم هذياني. بدت الرؤية ضبابية، أحسست

أن حياتي تَسرَق مني، هربت من مسرح الجريمة، ثم عاد شعور المجد والنشوة، تحفزت شهوتي للشر وامتنت لِمَا فعلت، وصل حبي للحياة لأعلى الذُّرا. ركضت إلى منزل سوهو، وللحفاظ على سلامتي حرقت الأوراق كافة، ثم جلست في شارع معتم، وعقلي لا يزال منقسم التفكير، أتأمل جريمتي، وبنشوة أفكر في جرائم مستقبلية، رغم أنني في الآن نفسه أقرع ذاتي على ما فعلت. تمتم هايد بأغنية وهو يتجرع العقار، وتعهد وهو يبتلع آخر قطرات لضحيته. لم تؤلمه عملية التحول، بل بمجرد أن عاد هنري چيكل طفق، بأعين متدفقة الدمع، يُعبِّر عن ندمه، وسقط راكعًا بيد متضرعة للرب. سقط رداء الأنانية والانغماس في شهوات الذات. تأملت حياتي بأكملها، تقصيتها منذ أيام طفولتي، حين كنت طفلًا يسير متعلقًا بيد والده، نحو أيام شبابي وإنكار الذات في حياتي العملية، لأعود مرة تلو مرة إلى التفكير في هذه الليلة المشئومة التي لا تُصدَّق. كدت أصرخ، لجأت للبكاء والصلوات في محاولة لتخفيف حدة تلك الصور والأصوات التي تتصارع في عقلي، ومع ذلك، في خضم هذا الزحام، لا يزال الوجه القبيح الظالم يحدق في روحي. ريثما خفتت حدة الذنب، ظهر في نفسي شعور بالبهجة. حُلَّت مشكلة سلوكي. أضحى من المستحيل، من الآن فصاعدًا، أن يعود هايد. عُدت الآن لمكارم الأخلاق. وآه! كم استمتعت بذلك! بتواضع بالغ تقبلت من جديد قيود الحياة الطبيعية! بزهد حقيقي أغلقت هذا الباب الذي كثيرًا ما عبَرت منه وإليه، ودهست مفتاحه تحت أقدامي!

وصلتني أخبار الجريمة في اليوم التالي، أصبح ذنب هايد جليًّا للعالم، وكان الضحية رجلًا رفيع المقام. لم تكن جريمة فحسب، بل حماقة مأساوية. ظننت أنني سعيد بما عرفت، ظننت أنني سعيد لعودتي وأسعى لحمايتها وتدعيمها. أصبح چيكل الآن ملجأً لي، دع هايد يقفز إلى السطح لوهلة، وستتكالب أيادي البشر جميعًا لاقتياده إلى الذبح.

اهتممت بسلوكي المستقبلي لأصلح ما أفسده الماضي، ويمكنني القول إن محاولاتي حققت نجاحًا محدودًا. أنت تعرف كم حاولت، في الشهور الأخيرة من العام الماضي، أن أخفف من قدر عذابي، أنت تعرف ما فعلته للآخرين، وكيف مضت الأيام في سكون، بالكاد سعيدة. لا يمكن الادعاء أنني مللت تلك الحياة البريئة، بل أعتقد أنني استمتعت بحياتي اليومية كليًّا، مع ذلك لم أتخلص من لعنتي، وحين توارى ندمي إلى الظل، بدأ الجزء الآخر من ذاتي، الذي قمعته مؤخرًا، بدأ يحاول العودة. لم أحلم قط بإنعاش هايد، كانت الفكرة في حد ذاتها غير ممكنة. لا، لم يكن أنا مَن شرع في إغراء الضمير، بل كانت محاولات المذنب الخفي التي في النهاية سقطتُ صريعًا لها.

هناك دومًا نهاية لكل شيء، حتى الأماكن الفسيحة يمكن أن تكتظ يومًا ما، وقد أفضت سطوة جانبي المظلم الوجيزة إلى تدمير توازُني الروحي كليًّا. مع ذلك لم أتنبه لهذا، بدا السقوط طبيعيًّا، مثل العود إلى الأيام الخوالي قبل اكتشافي الأثير. وقع الأمر ذات يوم من أيام يناير الصافية اللطيفة، كانت الأرض رطبة، لكن السماء خاوية من السحب، وكانت حديقة ريجينت تشي بعلامات الشتاء المميزة، بينما روائح لذيذة تداعب الأنفاس. جلست على المقعد تحت الشمس، بينما الكلاب حولي

تلعق عظامًا بدت لي أشبه بذاكرتي، ضميري نَعس قليلًا، يعدني بندم لم يتحرك بعد. ثم في النهاية أخذت أفكر، أنا مثل جيراني، وابتسمت، أقارن نفسي بهم، أقارن نشاطي الخيري بكسلهم الموحش. وتحديدًا حينما ساورتني تلك الفكرة المتباهية، اجتاحني الشك، وأصابني دوار مزعج وآلام مميتة. حين مرت تلك النوبة تركتني في حالة إغماء، ثم حين عُدت إلى وعيي لاحظت شيئًا من التغير في أفكاري، هناك جرأة أكبر، وشعور بالخطر، ورغبة في حل القيود. نظرت إلى جسدي، بدت الملابس متهدلة، واليد المرتخية على فخذي هزيلة ومشعرة. عُدت مجددًا لإدوارد هايد. منذ لحظة كنت آمنًا، أحظى باحترام كل الرجال، كنت ثريًّا، محبوبًا، وطاولة العشاء أُعِدت في انتظاري، الآن أصبحت طريدًا، مشردًا، وقاتلًا معروفًا، محط اهتمام السجانين.

اهتزت أفكاري، لكنها لم تخذلني. لاحظت أكثر من مرة أنني في زي هايد يصبح ذكائي أكثر حدة لدرجة تمنحني مزيدًا من مرونة الفكر؛ لذا في هذه اللحظة التي ربما كان چيكل ليستسلم أمامها، اهتم هايد بإيجاد حل. كان العقار يقبع داخل واحدة من خزائن غرفة المبنى الآخر، كيف يمكن أن أصل إليه؟ هذه هي المشكلة، التي طفقت أفكر فيها حين كدت أهشم أصابعي. لقد أغلقت باب المعمل. وإذا حاولت أن أدلف إلى المبنى عبر الساحة الخلفية لمنزلي سيتعين عليَّ الولوج إلى المنزل، حينها سيسلمني خدمي الخاص ليد القانون. حينها فكرت في استخدام يد العون، وفكرت في لانيون. كيف يمكن أن أصل إليه؟ كيف يمكن إقناعه؟ لنفترض أنني هربت من قبضة الشرطة المنتشرة في الشوارع، كيف يمكنني أن أقابله؟ وكيف يمكن لي، ضيف مجهول وغير مرحب به، أن أقنعه باقتحام مكتب زميله الدكتور چيكل؟ ثم تذكرت أن هناك سمة لم أخسرها من چيكل يمكنني استغلالها، يمكن أن أكتب لها رسالة بخط يدي، وبمجرد أن تبادرت إلى ذهني تلك البارقة، أنارت الطريق كاملًا أمامي.

وعليه، حاولت أن أستعيد هندامي بقدر ما أستطيع، واستقللت عربة مارقة إلى فندق لا أذكر اسمه في شارع بورتلاند. أبدى السائق سخرية واضحة لمظهري (المضحك المأساوي) على استحياء. صككت أسناني غيظًا ورمقته بنظرة شيطانية حملت له قدر غضبي، فابتسمت متراجعًا -لحسن حظه- وكذلك حظي؛ لأنه لو مرت دقيقة أخرى على هذه الحال لوقعت مأساة أخرى. في النُّزل، فور ما دلفت، كان لمظهري الكئيب القاتم أثر مزلزل على العاملين، لم يتبادلا نظرة واحدة في حضوري. اتبعوا أوامري بدقة، قادوني إلى غرفة خاصة، أحضروا لي أدوات الكتابة. كان هايد يرفل في حلة أكثر خطورة مما عرفته مسبقًا، مُفرطًا في غضبته، مستعدًّا للقتل، يشتهي الألم. لكنه -على أي حال- أظهر إرادة متناهية في السيطرة على غضبه، كتب رسالتين واحدة للانيون والأخرى لبول، وليتأكد من وصول الرسائل إليهما، طلب إرسالهما بجواب مسجل بعلم الوصول. ثم قضى يومه في الغرفة الخاصة بجوار المدفأة، ينقر على ذراع مقعده نقرات ثابتة مستمرة، هناك حظى بوجبة العشاء، جلس وحيدًا دون خوف، ثم حين أسدل الليل ستائره كاملة على السماء، انطلق إلى الشارع، صعد إلى عربة وانزوى في ركنها، لتسير به عبر طرقات المدينة. هذا

الفتى وليد الجحيم افتقر لكل ما هو إنساني، ليس هناك مشاعر حية داخله سوى مشاعر الخوف والكراهية. وحين أحس أن السائق بدأ يتوجس منه خيفةً، ترجل من السيارة وأخذ يسير الهوينى، مستترًا بملابسه الواسعة. كان محط أنظار المارة تحت أستار الليل، هرول تحفُّه المخاوف، يرتعد، يرتجف، يسير في الشوارع النائية، يُحصِي الدقائق التي تفصله عن منتصف الليل. تحدثت له سيدة، حاولت أن تبيعه شيئًا ما، لكنه لكمها في الوجه لتفر من قبضته.

حين عُدت إلى رشدي في منزل لانيون، تأثرت قليلًا بذعر صديقي القديم، ولكنه لم يعادل نقطة في بحر الذعر الذي سبحت فيه خلال الساعات القليلة الماضية. طرأ تغيير طفيف على مشاعري. لم يكن ما يعتمل في صدري هو الخوف من السجن، بل الرعب من السجن داخل جسد هايد للأبد. تلقيت وعود لانيون كما لو كنت في حلم جميل، واستمر الحلم حين عُدت إلى منزلي الأثير وذهبت إلى فراشي. غفوت في نوم عميق لا تقدر أعتى الكوابيس على زعزعته. ونهضت في الصباح مضطربًا وقد بلغ بي الضعف مبلغه، لكن مع ذلك منتعش، لم يغادرني شعور المقت الواضح لهذا الوحش الرابض داخلي، ولم أنسَ بالطبع المخاطر الداهمة التي واجهتني يوم أمس، ولكنني عُدت مجددًا إلى المنزل، منزلي الأثير وقريب من عقار التحول، وقد سطعت شمس امتناني لتلك العودة مُبدِّدة كل سحب الخوف لتمنحني أملًا جديدًا.

كنت أقف سعيدًا في بهو المنزل بعد وجبة الإفطار، أستنشق بسعادة الهواء النقي، حين فاجأتني المشاعر ذاتها التي تسبق التحول، ولم تكن أمامي فسحة من الوقت سوى لأهرع إلى غرفة المعمل قبل أن أتحول مرة أخرى إلى هايد. اضطررت هذه المرة لتناول جرعتين من العقار لأعود لنفسي، ويا حسرتاه! بعد انقضاء ست ساعات على تلك الواقعة، بينما كنت أجلس رامقًا المدفأة بنظرات كئيبة، عادت الآلام، واضطررت لتلقي جرعة أخرى. لأختصر حديثي: منذ ذلك اليوم لم أستطِع أن أحتفظ بجسد چيكل إلا في روتين صارم من الأنشطة والتمارين الرياضية وتحت رحمة الجرعات المتوالية من العقار. تهاجمني آلام التحول المضنية في كل ساعات الليل والنهار، وعلاوة على ذلك، إذا غفوت لوهلة، حتى على المقعد، كنت أستيقظ دومًا في جسد هايد. تحت تأثير هذه اللعنة المستمرة، وبسبب الأرق الذي أجبرت نفسي طواعيةً عليه، وحافظت على يقظتي لأوقات طويلة لم أظن قط أن الإنسان قادر عليها، أصبحت رجلًا تأكله مشاعره، وضعفه البدني والذهني، وقبل كل شيء: فزعه من جزئه الآخر. حين أغفو أو حين ينتهي مفعول الدواء كنت أتحول إلى هايد، تقريبًا دون أيِّ مظاهر تحوُّل (حيث أصبح جسدي أكثر تقبلًا لتلك العملية وآلامها). أتحول إلى روح تغلي كالمرجل بالكراهية والحقد، وجسد يبدو في ظاهره واهنًا بينما في باطنه يحوي طاقة عظمى. أحسست أن قوة هايد تتناسب طرديًّا مع ضعف چيكل. وبالتأكيد الكراهية التي فرقت بينهما كانت تعتمل في صدر كلٍ منهما بالتساوي. كانت مشاعر غريزية لدى چيكل. أدرك الآن التشوه الكامل الذي يمثله هذا المخلوق، ويتشاركه معه حتى الوفاة. بغض النظر عن تلك الروابط بينهما، التي سببت لچيكل كآبة كبيرة، ظن أن هايد -بسبب قدراته الخارقة- مخلوقًا شيطانيًّا بل

وغير طبيعي. بدت له صدمة، كيف لحبات التراب أن تذنب؟! كيف لِمَن كان ميتًا، ولا يملك جسدًا يحيا فيه، يفرض سطوته على الحياة؟! ضاعف ذلك من ذعره الجامح، القريب إلى روحه قرب المحبوبة، وربض مسلسلًا داخل جسده، بينما يسمعه يتمتم ويشعر بكفاحه ليُولَد، ويحاول استغلال كل ساعة وهن، وكل لحظة ثقة زائدة عن حدها، ليتمرد ويفرض نفسه على الحياة. أما كراهية هايد لچيكل فكانت من نوع آخر. لقد قاده خوفه من السجن إلى الانتحار طواعيةً مرة تلو أخرى، إلى العودة إلى نفسه الصارمة الحازمة، ولكنه لعن تلك الضرورة، ولعن العجز، وكره اليأس الذي قبع فيه چيكل الآن، واستاء من تصرفات ذاك المتحكم في روحه الجامحة؛ لذلك شرع يمارس الألاعيب الماكرة التي فعلها، مثل كتابة هرطقات بخط يدي وفي كتبي الخاصة، حرق الرسائل، وتدمير صورة والدي، وبالطبع، لولا كرهه للموت، لقتل نفسه في سبيل تدمير. مع ذلك حبه لي أمر رائع، أقولها أنا الذي أعتل وأرتعد بمجرد التفكير فيه، لكن حين أتذكر شغفه المجرد من هذا الرباط بيننا، وحين أسترجع خشيته من قدرتي على الإطاحة به، أشعر في صميم قلبي بشفقة كبيرة عليه.

لا جدوى من الحديث، كما أن الوقت يخذلني فلا يدع لي فسحة كافية لأسترسل. ما أقوله إن أحدًا في هذا العالم لم يعانِ من قبل مما عانيت، مع ذلك فإن التعود -بالطبع لم يخفف من حدة الألم- بل جعلني أكثر تقبلًا لليأس، ربما عقابي استمر لسنوات، ولكن الآن في حضور هذه الكبوة الأخيرة التي غيرت طبيعتي ووجهي، أعتقد أن العقاب على وشك الوصول لنهايته. بدأ مخزوني من الملح الخاص بالعقار في النفاد، ولم أحتَج من قبل، منذ تجربتي الأولى، لابتياعه. أرسلت في طلب مخزون جديد، خلطته بالمكونات اللازمة، تصاعدت أبخرة التفاعل، ثم تحول العقار للون الأول، ولم يتحول إلى اللون الأخير الذي يستقر عليه، مع ذلك تجرعته ولكن دون فائدة. ستعرف من بول كيف طفقت أبحث عنه في أنحاء لندن، دون جدوى. والآن أصبحت مقتنعًا أن المخزون الأول لم يكن نقيًّا، وربما تلك الشوائب المجهولة هي التي أنجحت التجربة.

مر أسبوع، والآن أكتب لك هذا الاعتراف تحت تأثير الجرعة الأخيرة التي أملكها. هذه إذن المرة الأخيرة، يا للمعجزة، التي سيفكر فيها هنري چيكل بطريقته الخاصة أو يرى وجهه الأثير (يا له من شعور كئيب!) في هذه المرآة! لا ينبغي عليَّ أن أطيل الكتابة أكثر من ذلك. أرجو أن تنجو هذه الرسالة من التدمير، سيكون ذلك حظًّا سعيدًا. في حالة تحوُّلي في خضم كتابته سيمزقه هايد على الفور، ولكن لو مضى بعض الوقت بعد كتابته، ثم تحولت، ربما سينجو هذا المرسول من أفعاله المتهورة. وبالتأكيد النهاية المرتقبة لكلينا غيرت الكثير من طبائعه. بعد نصف ساعة من الآن، حين أعود مرة أخرى وأخيرة إلى هذا الجسد المكروه، أعرف كيف سأجلس باكيًا مرتعدًا على مقعدي، أو سأستمر، بتوتر بالغ وإزعاج شديد، في ذرع الغرفة (ملجئي الأخير) جيئةً وذهابًا وأرهف السمع للأصوات المهددة. هل سيموت هايد؟ أو سيجد الشجاعة ليحرر نفسه في اللحظة الأخيرة؟ الله وحده يعلم، أما أنا فلا

أبالي. لقد حانت ساعة موتي، وما يتبعها يهم الجميع عداي. الآن، بينما أضع قلمي، وأغلق اعترافي، أضع نهاية لحياة التعيس هنري چيكل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

عن الرواية..

قصة الباب

البحث عن السيد هايد

ارتياح الدكتور چيكل

قضية مقتل كارو

واقعة الرسالة

واقعة الدكتور لانيون

واقعة النافذة

الليلة الأخيرة

رسالة الدكتور لانيون

الاعتراف الكامل لهنري چيكل

Notes

[←1]

(1) ملحوظة المترجمة: قصة دايمون وبيثياس هي قصة من الميثولوچيا الإغريقية تجسد الأخلاق المثلى للصداقة

[←2]

(2) ملحوظة المترجمة: «hide and seek» هو اسم لعبة الغميضة أو (أستغماية).